صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الثامن



العدد الثامن
من
السنة السادسة

أغسطس ١٩٣٧

سير الحوادث

الملك فاروق

فى التاسع والعشرين من الشهر الماضى احتفلت البلاد بتولية الملك فاروق عرش مصر

وقد كان الملك فاروق منذ طفولته معبود الامة التى كانت تنظر الى صورته وتترقب نموه وتتلهف على أخباره وتنتظر مروره فى الشوارع وقد حبا إلى الصبا ثم إلى الشباب بين ذراعيها فكان إبنا لكل اب وأم . وهو اليوم يتولى فيتخذ لهؤلاء الآباء والامهات مهمة الأب يرعاهم وينوخى مصالحهم . وهو يرعى فيهم أمة تحبه وتدعو له بالسعادة . وهذا اليوم الذى تولى فيه الملك فاروق هو لهذا السبب من أسعد أيامنا

وفى البلاد الآن حزب قد نال ثقة الامه وحاز الاكثرية الساحقة . فعلى هذا الحزب أن يتولى شئون السراى بحيث يمنع وجود رجل مثل زكى الابراشى باشا . فاننا نربأ بهذا الحب الذى تنظر به الامة الى ملكها الشاب أن يفسده مثل هذا الاحتمال أو الامكان

ونحن نطمع فى أن يتولى ملكنا الشاب عرش البلاد على الاقل خمسين سنة ومن حقنا كما هو من واجبنا أن نحرص الحرص كله على أن تكون هذه السنين سنى هدوء وسير مطمئن فى طريق الرقى العام واتجاه نحو المستقبل وتعميم الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية

والحكمة التى بدت من الملكة الوالدة والروح الديمقراطى الذى يتسم به الملك فاروق كلاهما يبعثنا على الطمأنينة التامة بأننا سنعيش فى ظل ملك كريم ينظر الى أمته باعتبارها أمة متمدنة تطلب الرقى والنور كما ينظر الى مثل زكى الابراشى باعتباره رجلا متوحشاً لايجوز أن تؤويه سراي ملوكية . والامة التى استقبلت الملكين بالفرح بل المرح تؤمل الامال الكبار فى شخص مليكها المحبوب وهي تفرح وتمرح لهذا السبب

وقد مرت بالسراى سنوات من الحق والشرف معاً أن نقول أن هذه العلاقة بين الأمة والعرش لم تكن فيها على أحسن مايتمناه المصريون . وكان ذلك بفضل شياطين من أمثال زكى الابراشى باشا أفسدوا وأغروا بالشر وعملوا على التدمير

أما الآن فاننا جميعاً نحب مليكنا ونرجو أن يدوم هـذا الحب والا يفسد ما بين الامة وبين العرش . وجميع الامارات التى بدت من الملكين الكريمين تدل على الرغبة الصادقة فى النزول على حكم الدستور والرضى بالحياة البرلمانية . ومادام الملك دستوريا يؤيد النظام الديمقراطى ومادامت السراى لايدير شئونها رجل من طراز الابراشى باشا ومادام الحزب الذي نال الاكثرية هو الذى يتولى الحكم فان البلاد تسير مطمئنة فى طريق الرقى يشملها السلام والرخاء

هجوم ايطاليا على مصر

لا تظن أن قارئا لهذه المجلة يستطيع أن يلومنا على التقصير فى تنبيه الرأى العام عن النيات السيئة التى ينطوى عليها الفاشيون الايطاليون نحونا . فاننا دأبنا منذ أكثر من عام فى هـذا التنبيه . ولكن الصحف المصرية أهملت الى حـد ما هذا الموضوع وهى الآن — أو القليل منها — يوالى قراءه باستعدادات ايطاليا الحربية على حدودنا الغربية . فان ايطاليا تحفر الخنادق وتخزن البنزين فى الصحراء وتخفى الطائرات . ولعلها أيضا تخزن الغازات الخانقة . وقد سبق أن نبهنا عن الطرق العظيمة التي شقتها بين حدودنا الغربية وبين تونس وقلنا أن الغرض منها ليس تجاريا كما يدعى الايطاليون وانما هو حربى يقصد عنه نقل الجنود والذخائر . والحاكم العام فى طرابلس هو الطيار العظيم بالبو . ويحتاج الانسان الى أن يلغى عقله لكى يصدق أن هذا الطيار قد عين لترقية الزرعة والصناعة فى طرابلس . فان مما لاشك فيه أنه معين لتدبير الهجوم على مصر . فاذا أضفنا الى ذلك أن المهندسين الايطاليين يعملون الان فى الحبشة لاستخدام مياه

بحيرة تانا لارواء صحراء الشرق وقطع المياه عنا عرفنا الخطر العظيم الذى نستهدف له ولكنا مع ذلك نثق بحكومتنا وبحليفتنا و نعتقد أنهما غير غافلتين عن جنون الفاشيين

غاندى ونهرو

قبل اسبوعين أذاعت التلغرافات أن غاندى قد نجح فى اقناع «المؤتمر» بان يكف عن مقاطعته للدستور الجديد ويقبل تعيين الوزراء فى الولايات الست التى نجح فيها فى الانتخابات الاخيرة فقد كان نهرو رئيس المؤتمر يقول بأن بقاء حق المنع فى يد الحاكم (وهو انجليزى) يجعل البرلمانات الهندية لا قيمة لها اذ يمكن الحكومة البريطانية فى كل وقت أن تمنع سن القوانين التى تريدها هذه البرلمانات . وحق المنع هذا محفوظ فى الدستور الانجليزي للملك ولكن التقاليد قضت ألا يمارسه الملك الا برأى رئيس الوزراء . وقد قال الانجليز أن ادخال هذا الحق فى الدستور الهندي لا يزيد على حدوده المفروضة فى الدستور البريطانى . وانعقدت بذلك مشكلة . فان المؤتمر جارى رئيسه نهرو فى رفض تأليف الوزارات فى الولايات الست حتى اضطر الحكام الانجليز الى تأليفها من الاقليات ولكن غاندى الذى يكسو يديه بالقطيفة الملساء ما زال بنائب الملك حتى جعله يصرح بأن هذا المنع لن يستعمل للاضرار بالمصالح الهندية أو لمعاندة المجالس النيابية الهنديه . وبعد ذلك دعا غاندي المؤتمر الى قبول هذا التصريح والى تاليف الوزارات فى الولايات الست المذكورة من أحزاب الأكثرية أى من أحزاب المؤتمر . وقبل المؤتمر ذلك

ومما تجب الاشاره اليه أن نهرو شيوعى وهو يتجه فى الرأي العام الهندى نحو الاشتراكيه أو سن القوانين التى تنقص من امتيازات الأغنياء وتزيد رفاه الفقراء

واخته الان وزيرة فى احدى الولايات الهندية

اليابان تبتلع الصين

كلما احست اليابان بان اوربا مشغولة بقلاقلها ومخاوفها عمدت هى الى اقتطاع قسم من الصين . فقبل خمس أو ست سنوات اقتطعت منشوريا . والان تحاول ان تقتطع قسما اخر حول بكين العاصمة الصينية القديمة . والصينيون الذين يقودهم شيانج كاى شيك يشعرون بضعفهم أمام اليابان ولا يحبون أن يصطدموا معها قبل ان يتم استعدادهم. ولذلك فانهم سيسلمون فى الاغلب بجميع مطالب

هذه الدولة الجائعة الطامعة

واليابانيون لا يزيدون على ٩٠ مليونا والصينيون يزيدون على ٤٥٠ مليونا . ولكن اليابان تفرنجت قبل الصينين واخذت بمبادىء الحضارة الحديثة وبقيت الصين منكوبة النكبة الكبرى بالبيت الامبراطوري الذى كان يحمى تقاليدها ويضع العقبات أمامها حتى لا تأخذ باسباب الرقى العصري واخيرا فى سنة ١٩١١ حين وثقت انه لا خلاص لها الا بنقض التقاليد طردت الامبراطور واسست الجمهورية . ولكنها فى هذا الانقلاب كانت متأخرة عن اليابان بنحو خمسين سنة وهى المدة التى تقرر لليابانيين النصر الان

فهل يفهم مغزى ذلك سائر الدعاة للتقاليد فى الشرق ؟ وهل هم يدرون ان مايدعون اليه من المخف والهذر عما يسمون « الرابطة الشرقية » تنفيه اليابان بمحاولتها قتل الصين وابتلاعها اوهل هم يدرون ان هذه اليابان تجيز تسميم الصينيين بالافيون الذى يهرب اليها من منشوريا لفتك برجولتها وقتل عزتها ؟



اسبانيا بين الاشتراكية والفاشية

مضى الى الان اكثر من عام على الثورة الاسبانية التى قام بها الجنرال فرانكو . وهو الى الان لم يستول على مدريد . ولا يقل القتلى والجرحى عن مليون من الجانبين . ومن مصلحة اسبانيا ان ينتهى القتال باى حال أى باستيلاء احد الجانبين . والمتأمل لطوالع القتال لا يمكنه ان ان يقول اى الجانبين سيكون له الفوز . فان كلا منهما يزداد مع الايام مددا فى الرجال والذخيرة ذلك ان فرانكو يعتمد على المراكيشيين ويجندهم . والاشتراكيون يجندون الشباب ويدربونهم على القتال

وتميل الدول الاوربية الى الاعتراف بفرانكو . فاذا تم له ذلك كانت له منه قوة . كما ان الفاشية الايطالية تزداد شراسة فى البحر الابيض المتوسط ويزداد خطرها علينا لان موسوليني يشعر عندئذ انه مؤيد من ناحية الغرب أو على الاقل مطمئن اليه فيمكنه ان يوجه جميع قواته لشرق البحر الابيض المتوسط . أما اذا تغلب الاشتراكيون (اى الحكومة) فان الخطر علينا من الايطاليين يقل لان ايطاليا تجد فى اسبانيا عدوا يحذر

مأساة فلسطين

فى الشهر الماضى اعلن تقرير اللجنة البريطانية الملوكيه التى عينت لبحث شكاوي العرب واليهود فى فلسطين . وقد رأت اللجنة ان تعين وطنا لليهود وهو الاقاليم الغربية لفلسطين بما فى ذلك اكبر جزء من الساحل . وعينت وطنا للعرب هو الاقاليم الشرقية : وترى ان يكون لكل من العرب واليهود دولة مستقلة فتتخلى بريطانيا عن الانتداب فيهما وتحتفظ بقسم آخر للانتداب يحتوى على ممر بين القدس والساحل وعلى المدن التى يكثر الاختلاف والشعب فيها بين العرب واليهود

والتقرير معروض الان للدرس امام عصبة الامم . والاغلب ان العصبة ستصدق عليه. ولكن كلا من اليهود والعرب يكره هذا الحل . لان اليهود يطمعون فى الاستيلاء على فلسطين جميعها وطرد العرب منها الى الصحارى . والعرب يعتقدون ان لهم الحق فى منع اليهود من انشاء وطن قومى

وكان لا بد لهذه المأساة من ان تقع وقد تنبأنا عنها ونصحنا العرب بأن يؤسسوا البنوك ويشتروا الارض كما يفعل اليهود : والان نقول ان الشيخ الحسينى قد اثبت عجزه عن قيادة الحركة الوطنية . ولعل هذه الحركة كانت تكون اصح واقوى لو كانت فى يد راغب النشاشيبى . فان الحسينى رجل دين ولا يمكن منه ان يقود حركة وطنية بها المسيحى والمسلم . ولم نستغرب رضى الامير عبدالله بهذا الحل للمسألة الفلسطينية الذى سيجعله ملكا على فلسطين

ونحن فى مصر نعطف على العرب فى محنتهم ونخشى ايضا قيام دولة يهودية فنية تريد أن تتوسع ولها مطالع خيالية جنونية . ومن الان نسمع عن اقتراحات بشأن استعمار هؤلاء الصهيونيين لجزيرة سينا

ماركوني

توفى فى الشهر الماضى السنيور ماركونى الذى يقرن اسمه الى الراديوفون . وهو لم يكن عالما عظيما ولكنه كان شبيها بفورد واديسون يتناول الاختراع ويعرف قيمته التجارية وهو ليس اول من اهتدى الى نقل الاصوات عبر الفضاء ولكنه اول من جعل هذا الاكتشاف ذا فائدة عملية

وقد اساء الى نفسه كثيرا فى اواخر حياته حين انضم الى الحركة الفاشية وامتدحها حتى الحرب الحبشية التى كانت انذل واخس عمل انسانى قد وجد فيها مجالا لمدح الدولة الايطالية



ماركونى

برتراند رسل

يرى القرء فى هذا العدد مقالا مسهبا للدكتو صبرى جرجس هو تلخيص لكتاب الفيلسوف الانجليزى برتراندرسل (روسل) وفى هذا الكتاب يحاول المؤلف ان يضع اخلاقا جديدة عن الزواج والعلاقات الجنسية تبعد بعدا عظيما عما الفناه . ويجب ان نقرر هنا ان المؤلف يعد من المتطرفين فى آرائه عن الاخلاق وانه لا يجد من المؤيدين لرأيه فى انجلترا غير القليل : وقد رأينا مثل هذه الآراء فى كتاب اخر وضعه رئيس الوزاره الفرنسية السابقة المسيو بلوم يدعى «الزواج»

ونحن نعرض هذه الاراء لقرائنا ليس باعتبار انها المثل الاعلى للاخلاق فى العلاقات التناسلية وانما باعتبار انها النتيجة للحضارة الصناعيه التى عمت الوسط الاوربى عامة والانجليزى خاصة. وهذا الوسط مازلنا بعيدين عنه كثيرا فى مصر فلا محل للقول بان مايدعو اليه برتراندرسل يمكن ان يدعى اليه فى مصر

وبهذا العدد ايضا مقال قصير اخر للاستاذ يعقوب فقام عن برتراندرسل ينتفع به القارىء فى زيادة معلوماته عن هذا المؤلف

هذه المجلة

يعرف القراء ان المجلات العربية التى من نوع هذه المجلة تعطل فى هذين الشهرين . اما نحن فمنذ انشاء هذه المجلة لم نعطلها بل كنا نصدرها على طول السنه اثنى عشر عددا • وهذا مع العلم بان اشتراكها اقل من نصف الاشتراك الذى يطلب لسائر المجلات . وقد وجدنا هذا المجهود مرهقا لنا فضلا عن انه يضطرنا الى ادراج مواد كنا لا نرضاها فى ظرف اخر تتوافر فيه الراحة

ولذلك رأينا ان نجعل الكتابين اللذين نهديهما للقراء بدلا من العددين اللذين يصدران اول سبتمبر واول اكتوبر

وستصدر المجلة فى اول نوفمبر فى رونق اخر وتقاسيم جديدة

نسمات السعادة

ضحك الصباح فهاتها كالصبح فى ضحكاتها
إغرودة مرح الهوى والفن فى نفساتها
للوحى فى آهاتها شغف وفى آياتها

النفس عطشى للجمال
من وحى آلهة الخيال

بار الطيور بشدوها وارقص على سجعاتها
فالغصن كالسكران من صهباء أغرودتها
والروض يضحك للغزالة غاص فى ضحكاتها

عم السرور الكائنات
فانعم بآلاء الحياة

حتى الغزالة شادياً واشكر لها قبلاتها
شكراً كنفحات الزهور يفوح مع نفحاتها
ماقبلة الأم الحنون أحر من لفحاتها

ياحبذا قطع البيان
فواحه ملء الزمان

البحر نام فهبت النسمات من غفواتها
والسحب حول سريره قامت بوطفاواتها
كالتبر في جنباتها والماس في هاماتها

تغرى الفؤاد بضمها
وبلثمها وبهمها

تلك الحمائم لينها والسكر في هتفاتها
لما جرت بين الغيوم تشق منتشراتها
اخذت بصحبتها فتى صبا بمنتدياتها

أحمائم الأفق الجليل
نعم الخليل انا الخليل

ياحبذا عيش الحمائم في نعيم فلاتها
أهوى مسارحها وأهوى النوم في وكناتها
انا لا أحب المدن مهما زينت لذاتها

وأحب من سرر الحرير
مهد من العشب النضير

(باهيا) جبران سماده

في الادب اليابانى

حيوان أليف

قصة يابانية لشيمازاكى توسون

الأدب جزء من المدنية والاقصوصة فرع من فروع الأدب وهذه الاقصوصة ترينا شيئا من آداب ذلك الشعب الناهض وليس مؤلفها نكرة فقد عاصر النهضة اليابانية مدة طويلة واشتغل فى بدء حياته الادبية بنظم القريض ولكنه تحول بعد الحرب اليابانية الروسية للكتابة فى القصص

وتمتاز اقاصيصه القصيرة بطابعها القومى كما تميل الى وصف الطبيعة وتحليل الحياة الانسانية وهذ القصة من خير ما كتب

« . »

ولدت فاذا الدنيا عابسة ، وقابلت الحياة فاذا هى كريهة مكروهة ، فلم يكن وصفها أو صفاتها يبعثان على الرضى ، فشعرها سنجابى قصير ، واذنها بارزة قبيحة ، وعيونها ما كرة كعيون الثعلب والحيوانات المنزلية دلال أو فوائد تجذب للحيوان صداقة الانسان فيدلله ويكرمه اما هى فقد جردتها الطبيعة من تلك الميزات فاذا هى شريدة مطاردة. فقدت عطف الناس فطردوها واقصوها من ديارهم

وهى كلبة عاش اسلافها فى الغابات حياة بدائية بعيدة عن الانسان ومدنيته ، ولكنها بعد ان ورثت فيما ورثت تلك الطباع المدنية صعب عليها ان تعود للحياة الأولى لأنها تعودت ان تعيش بين الناس فتسكن بين ظهرانيهم وتأكل من طعامهم سواء كان هذا الطعام فجا أو ناضجا يعطى بالرضا أو يؤخذ قسرا .

بحثت هذه المخلوقة الضالة عن مأوى تلجأ اليه فلم تجد الا وكرا ضيقا مظلما فى احد الاركان

المهجورة من حديقة منزل آل كش سان المزارع . وفى مكان حصين بين المنزل ومجاوره . وقد اختارت هذا المكان الامين لتأمن شر الناس وليسهل عليها الاختفاء فاذا عضها الجوع واحست بالحاجة الملحة الى الطعام وجدته فيما حولها بيوت اربعة متقابلة لا يفصلها الا اغصان الشجر ودلها الانف الحساس فى باديء الامر عن مكان المطبخ فعرفته . وكانت تسترشد بتلك الميزة فى تفتيش اماكن طعامها فتنقض عليه قبل ان يهاجمها انسان فكانت تأكل لتملأ فراغ معدتها فى لهفة وسرعة لا تسمحان باختيار لون معين او التفاضل بين طعام وطعام فربما أكلت قشور فاكهة او حساء فاسدا او بقايا مأكولات نتنة

فاذا قصرت تلك البقايا عن سد حاجتها حركت حياشيمها مستطلعة ما حولها وتسقطت ما يمكن العثور عليه وربما كان جوربا قذرا منقوعا فى ماء برميل الغسيل بجوار البئر . فاذا اكلت تلك الغنيمة تحولت لماء البرميل فشربت منه مسرورة راضية

وطاب لها ظل شجرة كبيرة قديمة متشابكة الاغصان فاتخذت منه مكانا تستريح فيه فتستلقى على ظهرها وتمد اقدامها الاربعة على الارض الساخنة من فعل اشعة الشمس النافذة من بين الاوراق والاغصان . ثم تتنهد طويلا او تحك الاجزاء التى يقلقها ما فيها من حشرات مهيجة فاذا أقبل المساء لجأت الى مخبأ المنزل تحت ارض الطابق الاول ونامت فوق اكياس الفحم . فاذا اعوزهـــا الدفء زحفت الى اقصى حد ممكن حتى تصل الى تحت المطبخ فتنـــام فى صندوق الفحم الدافيء .

« • »

ولاسرة كش سان كلب ارقط ذى لون احمر وابيض يدعونه « بوتشى » وهذا حيوان رشيق محبوب وكان هو المخلوق الوحيد الذى كان يقابلها بالترحيب ، فيقترب منها بأدب ويضرب الارض بقدميه . فتقابل التحية بمثلها وتهز ذيلها القذر . اما كش سان وباقى سكان المنطقة فكانوا ينظرون اليها باشمئزاز وكره

وكانو يتعجبون لقبح صورتها فقال احدهم مرة

— اليس من الخسارة الكبيرة ان يكون قبح الصورة قائما حتى فى الحيوان؟

فاجاب الآخر

— لو خلقت هذه الكلبة باى مظهر جميل لاحتفظنا بها

ولكنهم لم تدرك من كل هذه الاحاديث اى معنى وكل ماكانت تعرفه انهم اطلقوا عليها اسم

« بب » فكانت العمات (ربات المنازل) الاربع واطفالهن يضحكن عليها ويعيرنها بالنداء المتكرر « بب . بب . بب » . اما الرجال فكانوا مخيفين فأن اقل غفوة منها كانت تعرضها للاذى والمطاردة وكم من مرة قذفوها بالاشياء الثقيلة من احجار ، الى كتل من الطين ، الى عصى حديدية وقذفوها مرة بكتلة الخشب التى يدعم بها الباب فجرحت فى رجلها الخفية

وبمرور الزمن والتجربة ادركت طبيعة العقل البشرى ففهمت ماوراء تقلصات الشفاه من اوامر شريرة وما يتبع ابسط حركات الجسم لتناول شيء من اذي ، وما يعقب هز الاكتاف وضم الشفاه من عزم وتصميم ، أدركت من الشعور السائد حولها مدى العداوة العميقة القائمة بينها و بين الناس. واستدرجت مرة الى شرك نصبه لها كش سان فى مطبخ بيته ولكنهافرت رغم كل حيطة ولا يعرف احد كيف امكنها الخلاص فقد كان الناس يصيحون « احضروا حبلا احضروا حبلا » بينما كانت هى فى اشد حالات الذعر تجرى هنا وهناك حتى وصلت الى الحديقة حيث تكثر الاشجار القصيرة ، واتجهت الى البيت الزجاجي ودارت حول مخزن الحبوب ، ثم انطلقت فى الحقول المخصصة لبيع ازهار العيد

فقال الرجال آسفين « هربت اخيرا »

فاجابهم العم كن سان ضاحكا

— انها لحيوان مقلق

ولم يكن هذا اول عهدها بتلك التجارب القاسية فقد كان اضطهادها متواصلا فى بحثها على طعامها بكل هدوء وسكون وكأنها تقول فى نفسها « هـذه املاكي الخاصة » فكم دخلت المطبخ وكم صعدت الى الشرفة فلوثتها بارجلها القذرة . فاذا ارادت ان تلعب عمدت الى اربطة الاخفاف الموضوعة فى الحديقة فقطعتها او لعبت بملابس العمات المغسولة المنشورة فلطختها بالطين والتراب . واستهترت بالاطفال فسخرت من كوشان الصغيرة التى كانت تحب اللعب فى الفناء الخارجي للمنزل وهى تلبس قبقابها العظم

وكانت كوشان تحضر فى بعض الاوقات كعكا لذيذ الرائحة جميل المنظر وتدنو من بب وتقول

— انظرى يابب ! انظري يابب

فتقفز الكلبة عليها فى الحال فتصيح كوشان

— ادركيني ياماه فان بب شريرة

فتقبل العمة على عجل وتحثها على الفرار

— اهربى ياكوشان ! امرمى ! ولماذا تلبسين هذه القباقيب الكبيرة ؟

و تفقد الصغيرة حلواها بين اسنان بب التى كان يسرها ان تأكل من حلوى الانسان ، فاذا فرغت من التهامها لحست انفها بلسانها الاحمر

ولم تهتم بب بما فى حركاتها من خير اوشر رغم انتقادات الرجال والسيدات فلم تدر شيئا من المعانى التى يقصدونها فهى تجهل معنى اداب السلوك واستعمال الاساليب المدنية وغيرها من القيود التى اخترعها الانسان . وهى كلبة لايهمها سواء كانت حركاتها مؤدبة او غير مؤدبة . وكل ما فى الأمر انها حيوان مسكين يعيش تبعا لطبيعته

« * »

انقضى الشتاء ببرده وشظف عيشه دون ان تموت من الجوع الذى شكاه كل الناس . وها هو الشحاذ الذى يطرق ابواب بلدة « اكربر » يشكو مر الشكوى من قلة الموارد وهاهى المرأة التى تصحب طفلها تذهب كل صباح لتبحث عن عمل فتعود وتقول « لاعمل اليوم » فقد كان الناس فى الشتاء فى حالة بائسة لايستطيعون الاستغناء عن اى مقدار من الارز البارد ليشبعوا نهمهم مثل تلك الكلبة العديمة الفائدة

لقد قضت الشتاء هائمة فوق الثلوج وكانت تأكل كل ما يصادفها حتى قشر البرتقال

« * »

واقبل الربيع وذاب الجليد فاذا بها قد نمت وكبرت فزاد تودد بوتش اللطيف اليها ، وتبعها «كورو» كلب المنزل المجاور ، وتحبب اليها « اكا » كلب بائع الخشب ، ويقترب منها كلب الجيران الكبير الجسم المخيف المنظر فكان يقترب منها فى دلال . وصار لها حاشية مستديمة لا تفارقها اينما ذهبت . وكان مسكنها تحت الشجرة الكبيرة يفيض باصوات الحنان والاغراء لان كل الكلاب تتزلف لها وحدها

ورأت احدى العمات هذا بينما كانت تملأ دلوها من البئر فقالت متعجبة

يا الهى ان بب أنثى ! ولم ألاحظ هذا من قبل ! فاجابتها الاخرى

— ولا أنا أيضا !

وتضاحكت العمتان فى لذة كبيرة

وسرى النبا فى العائلات الاربع فاوجدوا جوا جديدا متناقضا بين العطف والحنان على بب كالنما يقارنها بانفسهم فيرين انها حامل تستحق الشفقة والرحمة والرجال يرون أنها ستلد بعد

فترة ويصرون على التخلص منها ومن حالها وتضاربت الآراء وأصبح مستقبل بب يثير اهتمام الجميع ويشغل بالهم

وفي احدى الايام أقبلت عربة تحمل شيئا يشبه صندوقا لاغطاء له وتستره حصيرة قذرة . فلما اقتربت من منزل كش سان وقفت ببابه وتقدم شرطي بملابسه الرسمية يتبعه رجل غريب الصورة والثياب وأدركت بب الخطر المحدق بها فانكمشت فى مكانها بينما أطلق بوتشي وكوزوباقي الكلاب لاصواتهم العنان فتجمعت الرجال والنساء وكل أهل القرية . وفزعت كوشان الى أمها واختبأت وراءها صاوخة

— صيا دو الكلاب يا أماه

تجمع الناس حول الحديقة وخلفوا عملهم فتركت ابنة كش شان عملها اليومي من سقى الزرع وتمهده وهرعت بمعزقتها الى الشارع • وكان أحد طلبة المدارس يرسم منظرا بالالوان المائية فطرح أدواته وتبع الناس

وقد ساد الارتباك بين الناس . فبينما هذا يصرخ «مرت هناك» يصيح الآخر « ها هي هنا » فكان موقف بب فى هذه المرة خطيرا حقا حتى قالت كوشان وهي ترتعش

— قتلت بب ولا شك يا أماه

وبعد محاورات تمكنت من الفرار . فنظر أحد الرجال وكان يحمل هراوة ضخمة من المنديان الى زميله وهز رأسه بيأس . فقال الشرطي وهو يفارق باب الحديقة « لا فائدة لا فائدة »

وعاد الاثنان يجران عربتهما الفارغة ونجت هي بعمرها فاخذ جوفها يكبر تدريجيا ولكنها فى هذه المرة لم تشعر بالاستهتار السابق ففى جوفها حمل ثمين . فلم تأو الي مقرها السابق تحت ظل الشجرة الكبيرة اذهو الان موطن غير آمن : واصبحت شديدة الحذر لا تستقر عيناها على حال فاذا ادركها التعب واستلقت على الارض ثم احست بخيال رجل قفزت على قدميها فى الحال فقد صار الانسان فى نظرها المثل الاعلى للتوحش والقسوة

وبرغم هذا الخوف الشديد لم تفارق البيت الانساني وقد يري البعض انه من خيرها ان تهرع الى الغابة فتعيش فيها كباقي الحيوانات وتبنى وكرها بين الحشائش الخضراء حيث تضع اجراءها بعيدة عن اذى الناس . الا ان شيئا من هذا لم يدر بخلدها فلم تعد قادرة على التخلص من طبيعتها المكتسبة الموروثة

وفى اوائل يونيه وضعت اربعة جراء فى بيت كش‌سان الوجاجى فكان اثنان منهما فى لون بوتشى الارقط مختلطا باللونين الاحمر والابيض وكان الثالث اسودا بينما كان الاخير سنجابيا كلونها هي

وفى صباح يوم امومتها تغير كل شيء قبلها فعلت البسمة الانسانيه وللمرة الاولى فى حياتها ذاقت الطعام المغذى اذ اتتها العمة كش‌سان وهى تقول

— تعالى يابب ! تعالي !

ثم بسطت امامها ورقة من المطبخ

ومن ذلك اليوم بدأت العمة كش سان تلاطفها وتحسن معاملتها

عن الانجليزية

فوزي جيد الشتوى



ليليان تراشر

آنسة امريكية تربي الايتام المصريين

هى آنسة عذراء ولكنها ام لمئات من البنين والبنات اليتامى . وعائلة لعشرات الارامل، ومدبرة لشئون كثيرين ممن اضناهم الفقر وحرموا من عطف الوالدين



الانسة ليليان تراشر

والجميع يدعونها «ماما» فالاطفال اذا عضهم الجوع هرعوا اليها صائحين «جوعانين ياماما» واذا هزهم قارس البرد لجأوا اليها فيجدون فيها نعم المعين ويلقون منها كل عطف الوالدين

هذه الانسة هى ليليان تراشر التى انشأت ملجأ الايتام الخيرى باسيوط ، واصبح اسمها مقرونا به

• • •

قبل نحو خمسين سنه فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٧ ولد لعائلة تراشر مولودة دعوها ليليان وكانت العائلة تقيم فى جاكسون فل التابعة لولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية ونشأت ليليان كاية امريكية عادية

كان الأب مفتشا فى شركة لرصف الطرق ولم يكن كثير الاهتمام بالدين . اما الام فكانت

مسيحية متدينة . وكان الجدان من «السكويكرز» وكانا يقطعان مسافة ٨ اميال حتى يصلا الى الكنيسة التى فيها يصليان

ولما اصبحت ليليان شابة كانت تشعر بميل شديد الى خدمة الدين واتفق انها قرأت كتبا لمؤلف

اسمه «هوراشيا الجر» تدور كلها حول الاطفال المهملين فتسرد قصصا مؤثرة عن حوادث الصغار ومتاعبهم مما اثر فيها وجعلها تعزم أن يكون ميدان خدمتها الدينى هو خدمة الاطفال اليتامى، ولذلك ساعدت الانسة ماتى بيرى التى كانت تدير ملجأ فى ماريون — كارولينا — وكان عمر ليليان وقتئذ ثلاثة وعشرين عاما وقد خطبت لشاب . وكان موعد الزواج قريبا ، حينما حضرت اجتماعا تكلمت فيه احدى المرسلات الامريكيات عن الهند وعندئذ شعرت بان قلبها يحدثها ان تذهب الى افريقيا ولم تكن تعرف عنها شيئاً واعترضتها صعاب كثيرة اولها ترك خطيبها بعد ما اتفقا على الزواج وهذا يعنى انها ستضحى بسعادتها وسعادة حبيبها فى سبيل الخدمة التى شعرت انها مدعوة لها . وثانيها معارضة اهلها فى خدمتها للدين فى اي مكان وخوفهم عليها من الذهاب الي القارة المجهولة ، وليست هناك جمعية تعضدها وترسم لها خطتها وتمدها بالمعونة ، انها مخاطرة غير سليمة العاقبة ولا مضمونة النتيجة

أما العقبة الثالثة فهى خلو يديها من المال فقد انفقت كل ماتملك استعدادا للزواج ولم يبق لديها غير جنيه واحد ، وماذا يقدر الجنيه الواحد ان يفعل؟ وقد ارادت ان تخفف صدمة الهجران على خطيبها ، فعرضت عليه ان يرافقها الى افريقيا ولكنه رفض. فتم عزمها على الرحيل

واعدت عدة السفر وهي واثقة ان الله سيهديها الى البقعة التى ستعمل فيها وفى تلك الاثناء سمعت عن مؤتمر للمرسـلات منعقد فى مدينة واشنجتون وقصدت الذهاب اليه لتسترشد به عن اية جهة فى افريقيا يمكن ان تذهب اليها ولم تكن اجرة السفر كاملة بل كانت تكفى فقط للوصول الى واشنجتون فذهبت اليها وهناك التقت بمرسل فى اسيوط اسمه القسيس برلسفورد وقصت عليه قصتها ورغبتها فى الذهاب الى افريقيا، فايقن القسيس ان الفتاة لم تتدبر الامر جديا بل ربما كانت تحاول الهروب من والديها، فنصحها « يابنتى يحسن بك ان تعودي الى امك »

ولكنها لم تيأس ولم يهن عزمها وبعد يومين احسن المرسل ان هـذه الانسه مخلصه فى السعى وراء الخدمة وانها تصلح ان تكون معينة له فى عمله فى اسيوط ، فسألها هل تقبل معاونته ، اما هى فلم تكن تعرف الجهة التى عينها لها الله فقالت فى نفسها « لم لاتكون اسيوط المكان المناسب

لخدمتها ولم لا يكون سؤال القسيس صوتا من الله. فقبلت الذهاب الى اسيوط وبعد مشقة حصلت على أجرة السفر الى مصر وفى الساخرة صلت وفتحت كتابها المقدس واذا بها تقرأ « أنى لقد رايت مشقة شعبي فى مصر وسمعت أنينهم ونزلت لانقذهم فهلم الان ارسلك الى مصر »

• • •

وفى ٢٦ اكتوبر ١٩١٠ وصلت الى مدينة اسيوط ومن حسن حظ اسيوط أن نزل بها ملاك الرحمة وأخذت تستعد للعمل العظيم الذى وهبت نفسها له . فبدأت تتعلم اللغة العربية لتحسن التفاهم مع عامة المصريين ، ولتقوم بخدمتها على الوجه الاكمل . وبعد ثلاثة شهور من وصولها سمعت عن أمرأة مريضة تشرف على الموت فزارتها ، وبعد أيام ماتت المرأة وتركت رضيعا عمره ثلاثة شهور فاخذته وهو فى حالة بائسة تصفها بالقول

« يظهر أن جسم الطفل لم يصل اليه الماء منذ ولادته وقد حشر فى ثياب ضيقة كانها خيطت عليه ويصعب على أحد ان يشم الروائح الكريهة المنبعثة من ذلك الطفل المسكين . وكان اللبن الذى يشرب منه فى كوب قذر مكشوف تعلوه الاوساخ »

فنظفته والبسته ثيابا جديدة وسقته لبنا نظيفا ولكنه كان مقلقا فلم يكف عن الصياح مما اضجر المرسلات فطلبن منها أن ترجع ذلك المخلوق الى حيث أتت به . ولكنها لم تقبل بل استأجرت بيتا بعيدا وسكنت فيه مع طفلها وكان ذلك نواة الملجأ العظيم الذي تديره الان .

على أن الصعاب لم تتركها فقد كان يعاودها حنين الوطن وكانت تحاول التغلب عليه حتى أصبحت تحب اسيوط وابناء الملجأ حبا يماثل حب الوطن وابناء الوطن

وفى بدء عملها لم يكن من السهل أن تعثر على الايتام فكثيرا ما ركبت حمارا وذهبت الى القرى المجاورة تعرض خدمتها لليتامى ، ومع ذلك لم يكن الاقبال على ذلك مشجعا فقد كانت فكرة تربية الاطفال وايوائهم واطعامهم والباسهم دون مقابل ، غريبة على اذهان الناس فلم يعتادوا مثل هذه الخدمه وقد ظنوا بها السوء وساورتهم الشكوك من جهتها وتساءلوا « لماذا تطعم الايتام مجانا ؟ » انها تريد ان تخطفهم وترسلهم الى امريكا . ولم يطل الوقت حتى تبين الناس حسن نيتها وشريف غايتها وسامى مبادئها فاقبل الايتام عليها ، مما جعلهـا تضاعف جهودهـا لتضمن لهم الطعام والكسـاء

ولما كثر عدد الايتام كبرت الخدمة ، واحتاجت الى المال . لا سيما وهى لا تعتمد على جمعيـ ت

البر فى أمريكا أو مصر بل تعتمد على احسان الافراد أو الجماعات يقدمونه متى شعروا به ، . فماذا تفعل ؟ لم يكن بد من التجوال فى قرى ومدن مصر من القاهرة شمالا الى جرجا جنوبا . وكان من العسير وصول القرى النائية الا على ظهر الحمير . وكانت تركبها ساعات فى طرق ملتوية متعبة وكثيرا ما سافرت نهارا وليلا فاذا احتاجت الى المبيت ففى نقط البوليس . كل ذلك لتجمع مالا تعول به ايتام ملجأ اسيوط

ليتأمل القارىء فتاة امريكية لم تبلغ الثلاثين من العمر تطوف بقرى الصعيد معرضة لاخطار اللصوص ومتاعب السفر . وليحكم على قدر الخدمة التى قامت بها الآنسة ليليان وقد ذكرت لى انها اوشكت مرة على الغرق فى وقت الفيضان بين كوم اسفحت والدوير « مركز ابوتيج » . اذ نزلت فى قارب ومعها عسكرى وفى منتصف المسافة فتح ثقب فى القارب فضغط النوتى بجسمه على الثقب ليمنع تدفق الماء الى داخل القارب ، وبعد عناء أمكن الجلوء الى كومة عالية من الحطب بالقرب من « آلة رى بخارية » فخرجوا من القارب وجلسوا على كومة الحطب فى انتظار قارب آخر وبعد وقت طويل مر قارب فنزلوا فيه وذهبوا الى الدوير

***

وفى فترة الثورة المصرية كان الاجانب فى خطر وقد شهدت بعينها مئات الاعراب مدججين بكل أنواع السلاح يهجمون من الشرق على مدينة أسيوط فجاء بعض الأجانب ينصحونها أن تذهب معهم وترسل الأولاد لأقاربهم ولكنها رفضت أن تترك الأيتام المساكين لتنجو بنفسها بل اهتمت بهم وأخفتهم فى حفرة فى طاحون قديمة

وقد هم الاعراب باقتحام الملجأ ولكن الحارس أقنعهم ان هذا بيت الفقراء والأيتام المصريين فليس من المروءة أن يهجموا عليه . ولكن واحدا سولت له نفسه أن ينفرد بطعام الأيتام فما كاد يتسلق جدار الملجأ حتى أصابته رصاصة طائشة من غرب النيل اردته قتيلا

وكانت فى كل ساعة تخشى الموت وتلقى الأهوال التى تثبط الهمم، وعندما بلغت الثورة أشدها اضطرتها السلطة العسكرية أن تترك أسيوط فبكت بكاء مرا ولم يغمض لها جفن فى تلك الليلة ثم اودعت الأطفال فى كلية أسيوط وذهبت الى أمريكا تجمع الأقوات وترسلها لهم

وقد برزت تضحيتها مرة ثانية عندما عرض عليها الزواج فرفضته وأبت أن تترك الأيتام الذين بلت أن تكون أما لهم

فى الملجأ الذى تديره الان ٦٨٠ نفسا من أطفال حرموا عطف الوالدين لوفاتهم ، وآخرين قسا عليهم والدوهم وشردوهم ، وعميان وعمياوات . لا نصير لهم . وزوجات ترملن وأخريات خانهن أزواجهن ، وغيرهن لا يجدن الكفاف فى بيوتهن ، كل هؤلاء يسعهم قلب الآنسة ليليان المحب ، وتخصهم بعطفها ، وتجعل لهم من الملجأ بيتا سعيدا

فالنساء يشتغلن فى الشئون المنزلية ، كغسل الملابس وطهى الطعام والعناية بالصغار . والأولاد يتعلمون فى مدرسة الملجأ مقرر المدارس الابتدائية والمجتهدون منهم يرسلون إلى مدارس أسيوط الثانوية ، وكثيرون منهم يتعلمون صناعة فى الملجأ ففيه (ورشة) صناعية يديرها أبناء الملجأ ، ويشتغل البعض بالزراعة فى المزرعة الصغيرة التى تحيط بالملجأ ،

وتحاول أن توفر وسائل الراحة لجميع اللاجئين فالمبانى صحية فسيحة ويجد الصغار مجالا للعب والرياضة ،

البنات يتعلمن فى مدرسة الملجأ ومنهن من يلحقن بكلية البنات الامريكية ثم يلتحقن بمدرسة الممرضات التابعة لمستشفى الأمريكان

والمعلمون والمعلمات من أبناء الملجأ تدفع لهم مرتباتهم بانتظام ويعيشون فى الملجأ عيشة مستقلة مع عائلاتهم ، وقد زوجت الانسة ليليان — منذ افتتاح الملجأ — نحو مائة فتاة من بناتها وتكون سعيدة جدا إذا كان العريس والعروس كلاهما من أبناء الملجأ ، وهى تمدهم بالمساعدة الممكنة وقد حضرت حفلة زفاف فى شهر يوليو الماضى فى الملجأ ، كانت العروس قد دخلت الملجأ وعمرها ستة شهور ، وكم كان فرح أبناء الملجأ بعرسهم وكم كان جميلا منظر العروس وهى تدخل الكنيسة متكأة على ذراع «ماما» التى جلست بجانبها فى اثناء الأكليل

مما تقدم تتبين لنا مبادؤها السامية وهى محبة عظيمة تشمل الجميع ، وخدمة مضحية تعمل للجميع وايمان قوي يغلب جميع الصعاب

أليس ايمانا انها تذهب الى بلاد مجهولة وهى واثقة أن الله الذى دعاها للخدمة سيكللها بالنجاح أليس ايمانا أنها تتكفل باعالة ٦٨٠ نفسا ينفقون فى العام ٤٠٠٠ جنيه ، فى الوقت الذى يعسر على بعض الاباء اعالة أطفالهم .

وقد دونت فى مذكراتها كيف كان الله يعتنى بها وبابنائها ، ففى الوقت الذي تأتى الفتاة المسئوله عن مخزن المؤنة تنبىء بان المخزن خال من الطعام ، ترتفع الصلوات وتعجب أن الله يجيبها فى الميعاد ، فلم يحرم الاولاد يوما من الطعام

وربما يقال ان هذا يحدث بطريق المصادفة ولكنها تقول أنه لا يمكن أن يحدث الاتفاق لمدة

٢٧ سنة ، انها تشعر أن يد العناية الالهية تدبر شئونها
وهاهي بعض الحوادث التي شهدت فيها تدبير الله :—

فى أحد الايام كانت مدينة بمبلغ ٦٠٠ ريال تستحق الدفع فورا ، وكان بائع الخبز يطلب ١٥٠ ريالا ويلح فى الطلب لأنه اذا لم يسترد ماله يتعطل عمله ، ولم يكن لديها مال ولم تعرف كيف سيدبر ذلك المال ، ولكنها كانت مؤمنة أن الله لن يتركها وانه سيساعدها — وفى صباح اليوم التالى جاءها البريد وبه رسالة بعنوان أسيوط — الهند ، ففتحتها فاذا بها ١٠٠٠ ريال من محسن فى كنساس بأمريكا ظن أن أسيوط فى الهند فكتب العنوان كذلك ، ولكن موظف البريد الأمريكى وضع هذه الرسالة ضمن الرسائل التى أرسلت الى مصر . فوصلت الرسالة فى الوقت المناسب ، وسددت الديون وبقى معها رصيد . ألم يكن من المنتظر أن تضيع الرسالة ؟

فى يوم احتاجت الى قطن لفراش الأطفال وكان البرد شديدا وجاءت الفتاة المسئولة عن الفراش تخبر «ماما» أن ليس لديهم قطن والايتام الجدد يطلبون مراتب ، فضلا عن أن المراتب القديمة تمزقت ، فطلبت الآنسة ليلبان أن يصلى الجميع لله ليبسر حاجتهم ، وفى الصباح رأت سيارة تحمل أكياسا من القطن تعبر الكوبرى المؤدى الى الملجأ فقالت فى نفسها يا ليت لنا جزء من هذا القطن . وأخذت السيارة تقترب الى الملجأ حتى وقفت أمامه فاذا بكل القطن هدية للملجأ . فبينما كانوا يفكرون فى حاجتهم الى الفراش كان محسن كريم يشغله نفس التفكير

وفى مرة أرسل للملجأ مقدار كبير من اللحم ولكنه لم يكف لعمل (حساء) لجميع اللاجئين . فاضطر الباقون أن يا كلوا أرزا مع أنهم كانوا يرغبون فى الحساء كاخوانهم ، ولم ينته اليوم حتى أرسل للملجأ مقدار اخر من اللحم كان يكفى لعمل حساء للباقين . فنالوا نصيبهم كاخوانهم

« . »

أما أثر هذه الفاضلة المضحية فقوى جدا فانت لا تكاد تطأ أرض الملجأ حتى تثور فيك عاطفة الاحسان والكرم ، وتشعر بأن خدمتك ضئيلة أمام هذه الخدمات الجليلة التى تقوم بها آنسة وتنوء بها جماعات وستعرف انها قد تمر على بيوت المحسنين فى أسيوط لغاية الساعة الحادية عشرة مساء لتجمع دقيقا ليخبز فى الصباح ، وكثيرا ما تسهر الى منتصف الليل تكتب رسائل تشكر المحسنين الذين قدموا للملجأ مساعدات أو ترجو احسانا من اخرين ، وتشغل معظم اليوم بالمقابلات الكثيرة ، والضيوف العديدين ، الذين يزورون الملجأ وكثيرا ما تضطر للتجوال معهم فى أرجائه مرارا وتجيب على أسئلة متشابهة وهى تفصل وتخيط ملابس الاولاد والبنات تساعدها

الفتيات والنساء اللاجئات حقاً أن عملها شاق ولكنها تقوم به بكل سرور

ومنذ أعوام اشتغل مدرس فى مدرسة الملجأ ، فتشبع من روحها ، وشعر بانه يجب أن يقوم بخدمة الأطفال ، فاستقال من عمله وانشأ ملجأ فى سوهاج . وأ كاد اعتقد أن ملجأ الانسة ليليان كان باعثا لمجلس مديرية أسيوط أن ينشيء ملجاى البنين والبنات وقدعمت هذه المؤسسات الاجتماعية أكثر مديريات القطر

واثرها داخل الملجأ واضح لا يحتاج الى بيان ، فقد انتشلت اليتامى والفقراء واللقطاء ، من الجهل والفقر والشقاء الى العلم والتهذيب والسعادة والحق ان المتعلمين من أبناء الملجأ مثل طيب للاخلاق الفاضلة

واما البنات فقد صانتهن وقدمت لهن فرصة يقمن بخدم شريفة ، ورفعت مستواهن . وهى لا تسمح مطلقا لأى فتاة ان تشتغل خادمة فى المنازل لأنها تعلم ان كثيرا من الخادمات ينحدرن الى سبل الغواية حيث لا يستطعن مقاومة التجارب وتعامل البنين كذلك لتحتفظ لهم بمستوى اخلاقى سام . لأنها تعلم انها مسئولة عنهم . وطالما حرمت من النوم لتعنى بمريض منهم وقد ذكر احد أبناء الملجأ أنه اوشك مرة على الغرق فرأته « ماما » والقت بنفسها فى الماء بملابسها وانقذته

هذه خلاصة وجيزة لعمل هذه المرأة الفاضلة التى لا تزال تعمل بروح طيبة . وهمة عالية . ومبادىء سامية واذا اتيح لأحد السفر الى الصعيد فى النيل فسيرى على الشاطىء الشرقي عند مدينة اسيوط ذلك الملجأ العظيم الذى قدم خدمات انسانية جليلة لمئات المصريين منذ ٢٧ سنه وسوف يذكر الآنسة « ليليان تراشر »

حزقيال بسطوروس

السلوك والمسئولية، بزوغ نظام ادبى معنوى

عن كتاب فجر الضمير

للمصرلوجى الاميركى الكبير برستد

بقلم الآنسة اريس حبيب المصرى

لقد كان الدين عند قدماء المصريين فى فجره يتلخص فى عبادة قوى الطبيعة كما كانت الحال لدى سائر الشعوب — فكانوا يعبدون الشمس باسم الاله رع — وكانوا يعبدون المياه المخصبة المنبثة التى تفيض عليهم بالخير باسم الاله اوزوريس . وظل رع واوزوريس محلا للاكرام والاجلال من البداية الى النهاية حتى بعد ما حدث من تطورات . فكان رع هو السيد الاعلى طورا وتارة كان اوزوريس . واستمرت هذه المنافسة قائمة ردحا من الزمن — الى أن وضحت سلطته كل منهما فى قلوب عبادها . وصار اوزوريس اله الموتى فحسبت وظيفته فى حياة الناس وظيفة سلبية بعكس رع الذى كان اله الاحياء ظلت سلطته تمتد وتنمو الى ان تقلد زمام الملك فى عالم اسمى من عالم الماديات هو عالم المعنويات

والواقع أن المادة كانت صاحبة المقام الاول فى العصور السحيقة . فكانت الوسائل الضرورية حتى للخلود بعد الموت وسائل مادية محضة . لذلك شيد الفراعنة الاهرام الشامخة أملا فى أن تتغلب صلابتها على عوامل الفناء فيكون بقاؤها هو الوسيلة لحصول فرعون على الخلود

ولكن المصريين حتى فى عهد المادة كانوا قوما مفكرين وكانوا فى عهد الدولة القديمة (بعد سنة ٣٠٠٠ ق . م) يقرون بما للسلوك من قيمة فى حياة المرء الحاضرة وبما سيكون له من اثر فى حياته بعد الموت . فقد كان سلوك المرء موضوع التأمل والحكم وعرضة لان يكون «محبوبا» او «بغيضا» اى عرضة لرضى المجتمع او لسخطه . الا أن الوثائق المتعلقة بارائهم وبمعتقداتهم فى هذه الناحية

قليلة جدا حتى سنة ٣٠٠٠ ق .م. ولـكنها تزداد بعد هذا التاريخ ويمكن للباحث استخلاص بعض معلومات قيمة من الزخارف والنقوش المنحوتة على جدران المدافن بسقارة وغيرها

وأول ما يبدو من هذه النقوش هو طبعا التقدم فى المظاهر الخارجية — فلم يوجد شعب قبل ذلك استطاع ان يتحكم فى قوي الطبيعة المحيطة به ولم يضارعهم شعب فى المقدرة على التعبير عن تحكمهم هذا بوسائل مادية عظيمة لا تزال تدهش العالم الحديث . فبنوا اشاهق الابنية التى يخيل لمن يراها الآن ان الزمن عاجز عن التأثير فيها

ولكن السلوك هو تغلب المؤثرات العديدة غير الملموسة الناشئة عن الحياة وعن عواملها المتشابكة من عادات وتقاليد وصفات شخصية خاصة هى نتيجة للقوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تلك الأشياء التى تخلق وجهة النظر عند الفرد وتدفع به الى الأختيار والحكم فتؤلف جوا يسمو على جو المادة ولـكنه جو لا يمكن تحديده بالحواس الظاهرة وليس ثمة من سبيل سوى تلمسه



الآنسة اريس حبيب المصرى

خلال الآثار المادية

والمصري فى عهد الأهرام كان قد بلغ ادراكه لوجود قوى معنوية تسيطر على حياته وتتحكم فيها مبلغا واضحا حتى ان الملفات التى وجدت بالأهرام تثبت بوضوح انه كان منذ ذلك العهد البعيد يرتد ببصره الى الوراء — الى عصر لم يكن فيه شر ولا تنازع — الى « ذلك الجسم » والى «جماعة العدل» قبل ان يوجد « التنازع » و «الصوت» و «التجديف» و« والعراك» — أو ذلك التهشيم المريع الذى اصاب كلا من هورس وست على يدي خصمه . والى ذلك الاعتقاد بعصر أمثل من الطهر أو عصر البر والسلام يرجع ذلك التعبير العجيب فى ملفات الأهرام وهو « قبل ان يأتي الموت »

وفى ذلك العصر البعيد حيث تبدو أول هيئة اجتماعية كان المعترف به أن حق الأنسان فى تقدير شخصيته يرتكز على روحه وعلى سلوكه فى معاملة اسرته « ابيه وامه واخوته واخواته »

وهذه حقيقة شائعة جدا كما ان لها اهمية اساسية فى بحثنا هذا . ففى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد اكد شريف من اشراف الصعيد ما فى شخصيته من خير بما خطه على قبره فبعد أن امتدح اعماله قال . « لم أقل الكذب ، كنت محبوبا من أبى ، مشكورا من أمى ، لطيفا جدا مع اخوتى محبا لاخواتى » وبعد ذلك بقليل . اعترف واحد من المقربين للملك بقوله «الملك امتدحنى واوصى ابى بى خيرا . وكتب وصيته لصالحى . وكنت محبوبا من ابى ، مشكورا من امى ، كما احبنى جميع اخوتى »وطالما كرر اشراف عــــهد الاهرام هــذه الاقوال مثبتين أن اهم الصفات التى تخولهم الحق فى تقدير الغير اياهم هى تلك الكلمات . كنت محبوبا من ابى ممدوحا من أمي كما احبنى جميع اخوتى واخواتى »

واهم فضيلة تبدو لنا الان من ملفات عصر الاهرام هى بر الابناء بآبائهم . ومرارا وتكرارا يقيم الابن قبرا لوالده الراحل ويهيء له ابهى المراسم الجنائزية وأعظمها . بل ان واحدا منهم ذهب الى ابعد من ذلك فكتب على قبره العبارة الاتية « طلبت ان ادفن فى القبر عينه الذي دفن فيه ابى لكى اكون معه فى المكان نفسه — ليس لانه لم يكن فى مقدوري ان اعمل قبرا ثانيا ولكن لكى ارى ابى كل يوم ولكى اكون معه فى مكان واحد»

وثمة مثل آخر ادعى الى الدهشة وادل على بر الابناء وهو قبر سنى قائد الحامية المرابطة على الحدود الجنوبية عند الشلال الاول

فقد قام ميكو والد سبنى برحلة استكشاف فى اواسط افريقيا لغرض التجارة . وهنا اسره

الاهلون وقتلوه . فلما سمع سبنى بموت ابيه سافر دون تردد الى المنطقة التى لقى ابوه فيها حتفه مخاطرا بحياته فاستطاع ان ينقذ جثة ابيه وعاد بها الى مصر لتحنيطها ولا يزال قبره للان شاهد على مغامرته هذه اذ نقشت حوادثها واخبارها على جدرانه

والشهادة التى تركها اول مجتمع من الاشراف عرفه التاريخ هى شهاده تؤيدها الزخارف والنقوش التى اعتاد اولئك النبلاء ان يزينوا بها جدران المعابد الخاصة بمقابرهم — وهذا واضح خصوصا فى مقابر سقارة : وتلك المقابر تؤلف صورة رائعة تسترعى انظار الجميع للان . ولكن من من الزائرين الاجانب او المصريين حين يذهبون الى تلك البقعة يخطر على بالهم ان ما يشاهدونه من النقوش والصور البديعة انهى الا استعلان لاقدم حياة عائلية عرفها التاريخ ! وحين يجتاز الزائر الان الحقول الخضراء ويمر تحت ظلال النخيل ويرمى ببصره الى الامام حيث تمتد الصحراء عن بعد أمامه وتقع قبل الصحراء اطلال المدينة القديمة — اطلال قليلة مبعثرة ولكنها ناطقة تحدث عن حضارة مجيدة زالت

هناك عاش اولئك الاشراف وبنوا منذ آلاف الاجيال مدينتهم العظيمة . وحين كانت تنتهى حياة الواحد منهم كان يحمل الى الصحراء على المرتفع حيث بنيت المقابر والمعابد الملحقة بها وقد خربت تلك القبور الان واصبح يسودها صمت رهيب ولكن ابوابها مفتوحة لكل من يريد الدخول والانتقال فى غرفها واحدة تلو الاخرى . وهذه الغرف تكسو جدرانها نقوش بارزة ومناظر ملونة للحياة القديمة

ومن تلك الزخارف المنحوتة يبدو شريف من اولئك الاشراف العظماء ورئيس اقطاع كان يملك الاراضى الواسعة — يبدو هذا الشريف كبير القامة عليه سيماء الوقار وهو يراقب عماله حين يبذرون الحبوب او يحصدون الثمار — وحين يرعون قطعانهم فى مراعيها او يخوضون القنوات العديدة التى كانوا يحفرونها للرى — كذلك نراه واقفا وأمامه الصناع . فالنجار والحداد وصانع الخزف وكثيرون غيرهم يعملون بجد ونشاط . وهذه الصور المتتابعة تظهر الافاق المختلفة لحياتهم الزراعية والصناعية — تلك الحياة التى قامت عليها حضارتهم . وفى كل العصور نرى الشريف واقفا الى جانب زوجه : وحين يدخل بوابة القصر المنيف المؤدية الى حديقته الغناء يسير الى جانبها كذلك — فهى تشاركه فى حياته وفى عمله وهى رفيقته النهار كله . واولادهما معهما كثير من الاحيان ومن اظرف ما بين تلك الصور المدهشة صورة للنبيل ممسكا بيد ابنه الصغير الذى يحمل فى اليد الاخرى عصفورا : وحين يذهب الشريف الى الصيد فى البرك تبدو زوجه الى جانبه ومعهما اولادهما فى الزورق الصغير الذى يقوده بدقة وسط نباتات البردى النامية وقد مال احد الاولاد

متكئا على حافة الزورق ليقتطف زهرة من ازهار اللوتس . كما انه حين يستريح الشريف تحت ظل شجرة من اشجاره الوارفة فى حديقته تتكىء معه زوجه بينما يلعب الاولاد امامهما بالكرة أو يصطادون السمك من البركة المحفورة فى وسط الحديقة

وتلك النقوش المنحوتة على مقابر ممفيس تعطينا صورة عن الحياة الاجتماعية فى حقبة من تاريخ مصر تمتد نحو خمسمائة سنة من حوالى ٣٠٠٠ق . م الى حوالى ٢٥٠٠ ق . م وهى تؤلف اول رسم بيانى وصفى للحياة العائلية خلفها العالم القديم . ولقدكانت قيمة تلك الصور حتى عهد قريب فيما يمكن استخلاصه منها عن الزراعة والصناعة ورعى الماشية فى تلك العصور السحيقة . ولكنه واضح ان صلات الالفة العائلية البادية من خلالها تطلعنا على معلومات اساسية قيمة عن التطور الادبى والاجتماعى . اذ نقف بواسطتها على وثيقة تاريخية بارزة تدلنا على ان الادراك الادبى كان اساسه فى الحياة العائلية

هنا اذن فى المنبع المصري وقبل التاريخ المسيحى بثلاثة الاف عام مجموعة نفيسة من الوثائق التى تثبت لاول مرة تاريخيا ما توصل اليه علماء النفس فى هذا العصر من نتائج مبنية على الملاحظة لحياة الناس كما يعيشون الان . فالدوافع الادبية انما كان نموها بفضل المؤثرات الموجودة فى الحياة العائلية .

ويقول مكدوجل (من اكبر علماء النفس فى هذا العصر) ما يأتى

« من هذه العاطفة « عاطفة الامومة او الابوة » وما تدفع اليه من ميل الى الاعزاز والرفق والعناية ينبع الكرم والسخاء والاعتراف بالجميل والمحبة والشفقة والجود وكل ايثار ! ففيها تنبت الجذور الاصلية لهذه الفضائل جميعا وبغيرها لا يمكن ان يكون لها وجود » وبعد ان يبحث مكدوجل فى النمو الذى يطرأ على المرأ كأثر لهذه العاطفة مبينا كيف ان ما يصيب الطفل من اذى يدفع حتما الى الغضب والتحامل يقول « هذا الترابط الوثيق بين هذه العاطفة الرقيقة وبين الغضب له أهمية عظمى لحياة الانسان الاجتماعية . وتفهم ان هذا الترابط ضروري لتفهم العواطف الادبية المعنوية لان الغضب المثار بهذه الطريقة هو البذرة لكل ثورة معنوية ، وهلى الثورة المعنوية تقوم العدالة ومعظم القوانين القائمة : وهكذا على الرغم مما يبدو ومن تضارب تكون الجذور الاساسية وخير والعقاب متأصلة فى غريزة الامومة — أو الابوة » والخلاصة التى ينتهى اليها وستر ماوك تؤيد قول مكدوجل تاريخيا اذيقول .. « يمكن الاستشهاد بحقائق لا عدد لها على أن عاطفته الامومة أو الابوة لست ثمرة متأخرة طارئة على الانسان كنتيجة لارتقاء الحضارة — بل هى ظاهرة واضحة عند الانسان المتوحش الذى لم يبلغ من الحضارة طورا

يذكر تبدو فيه كما تبدو فى الانسان المتمدين . فمنذ أجيال عديدة حين اضطر سكان المرتفعات فى أواسط أفريقيا بسبب الجفاف أن يهبطوا وادى النيل كانت هذه العاطفة قد ظهرت فيهم منذ ذاك وكانت نتيجة للنمو والتطور خلال أجيال ما قبل التاريخ الذى أدى الى المملكة الاولى حوالى ٤٠٠٠ ق . م . وبعد ذلك بخمسمائة عام كتبوا تلك القطعة الادبيه الرائعة المعروفة باسم قصة ممفيس وهى تحتوى على حكم وأمثال بديعة فى شكل روائى . وبعد خمسمائة سنة أخرى أى حوالى ٣٠٠٠ سنة ق . م . شيدت مقابر سقارة . وهذان الدليلان مع ما كتبه بتاهوتب من حكم يكشف لنا عن طور اسمى فى تقدم الانسان وازدهار حياته المعنوية . »

وفى هذه الينابيع التى للمملكة القديمة توجد أقدم مجموعة عن الأدلة التى تبين أن اتجاهات الانسان الادبية المعنوية هى نتيجه لاحواله الاجتماعية وأثر من آثار التفاعل الاجتماعى . وهذه النتيجة أيدها علماء النفس كما أيدوا ما للحياة العائلية من أثر . فيقول جرين : « لا يستطيع فرد أن يكون ضميرا لنفسه بل أنه يحتاج دوما الى مجتمع ليكونه له .

ففى هذه الفترة اذن نرقب مظهرا ساميا لتطور لا يوجد نظيره فى أية أمة من الامم المعاصرة . ونحن اذ نرقب هذه الفترة نرى بزوغ الشعور بالمسئولية — أن صح هذا التعبير — ونرى هذا الشعور يزداد ويشتد ويقوى سلطانه فيأخذ فى التحكم فى السلوك البشرى وفى تكوين الضمير وجعله عاملا اجتماعيا قويا فعالا .

وتتضح هذه الحقيقة من أنه بينما كانت الأسرة هى الدائرة التى ينحصر فيها السلوك الجيد فى بادىء الامر اذا بهذه الدائرة تتسع وتمتد منذ عهد الاهرام — فصار السلوك أثر على المجتمع بأسره . لذلك نحت على أسفل تمثال فى أحد القبور تلك الكلمات التى فاه بها صاحب القبر وهى : « لقد طلبت من المثال أن يعمل لى هذه التماثيل وقد رضى بما دفعت له من أجر » وفى قبر آخر يرجع عهده الى الأسرة الرابعة — حوالى ٢٩٠٠ — ٢٧٥٠ ق . م — وجدت ملفات قيمة لا تزال للآن محفوظه بمتحف بمدينة ميونخ يقول فيها رجل اسمه امنى كان ناظرا على احدى (العزب) « أما فيما يتعلق بكل رجل اشتغل فى مقبرتى فانهم جميعا كانوا راضين سواء أكانوا من الصناع أو من النحاتين لاننى أرضيتهم جميعا » . ومن الظاهر أن كلا من هذين الرجلين أراد بعمله هذا أن يثبت للآتين من بعده أنه تصرف بالعدل ولم يظلم الصناع الذين أتموا مقبرته . كذلك وضع أحد الاشراف التقرير الآتى عن حياته ضمن ما تركه فى مقبرته : « أعطيت الخبز لكل جائع وجد فى جبال سيرا سيتس — وهو اسم مقاطعته — وكسوت العريان فيها . وملأت أنحاءها بالماشية والغنم فاستبعت حتى ذئاب الفلاة وطيور السماء . ولم أحاول قط الاستيلاء على أرض غيرى حتى

لا أعطى انسانا فرصة للتضجر منى الى اله مدينتى بل تكلمت دوما بالخير ولم يوجد فى مقاطعتى رجل خائف بسبب من هو أقوي منه فكنت محسنا للناس وللبهائم وللوحوش وللطيور
«...وأنني أقول الصدق ولا أكذب لانني كنت رجلا محبوبا من أبيه مشكورا من أمه بلا لوم مع اخوته حلو المعشر مع اخوانه .»

ومرارا وتكرارا أكد هؤلاء الرجال الذين عاشوا منذ أربعة أو خمسة الاف سنة براءتهم من عمل الشر : «ما عملت شرا لانسان» يقول كبير أطباء الملك ساهورع من أواسط القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد — بينما يقول كاهن ممن عاشوا بعد ذلك بقليل كلمات تؤدي نفس المعنى وهى : لم أستعمل العنف مع انسان. وبعد قرن من ذلك يوجه رجل من العامة — لا من الاشراف ولا من الكهنة — كلماته الي الاحياء بكتابتها على واجهة قبره وهى : أيها الاحياء العائشون على الارض ، المارون أمام هذا القبر .. اسمحوا لى بتقدمة ووزعوا صدقة من أجلى ، لانني كنت رجلا محبوبا من الشعب . فلم أضرب علنا قط ، ولم استول عنوة على مال غيرى ، بل كنت دوما أصنع ما يرضى الناس .»

كذلك وجدت العبارة التالية على قبر اخر « لقد فعلت ما يحبه الناس وما يرضى الالهة حتى يجعلوا مسكنى الابدى (يعنى قبره) دائما ويذيع صيتى بين الناس » والواضح من هذه الكلمات التى كان يواجهها رجال عصر سحيق الى الاحياء الاتين من بعدهم ان الغاية من تأكيداتهم لقيمتهم الادبيه فى مجتمعهم كانت الامل فى ان يحوزوا رضى الجيران الاحياء فيقدموا تقدمات من الاكل والشرب على قبورهم

وكان من معتقداتهم ان أى انسان ارتكب فى حياته الدنيا خطأ أو ظلما كان يستدعى بواسطة المظلوم فى العالم الاتى لكى يؤدي حسابه عن ذنوبه أمام الاله الشمس وهو القاضى الاعلى لمحكمة العدل التى كانت المحاكم الأرضية تقام على نمطها . والناظر امنى الذى كان دقيقا فى تأدية الواجب بدفع اجور عادلة للعمال الذين اشتغلوا فى مقبرته كتب العبارة التالية على بابها « سيكون التمساح خصمه فى الماء ! وسيكون الثعبان خصمه على اليابسة ! سيكونان خصوما لذلك الذى يسيء الى مقبرتى . وسيكون الاله العظيم قاضيا له » وكل هذه الاقوال تثبت أن هذه القيمة الادبية المعنوية للانسان كان تقديرها موكولا الى الالهة وكان من الممكن ان تؤثر ماديا على السعادة فيما بعد الموت . فالغرضان .غرض ابتغاء مرضاة الاحياء وحيازة تقدماتهم وغرض ابتغاء السعادة الابدية التى يقررها الاله الشمس القاضى الأعلى — هذان الغرضان اتحدا بوضوح فى الكلمة التى تنبهنا على واجهة قبرها هاركوف اعظم المستكشفين

المغامرين داخل المجاهل الافريقية الذى استطاع ان يجتاز السودان فى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد . أما قبره فمنحوت فى الصخور الغربية القريبة من اسوان الحديثة حيث يستطيع أى سائح ذو ارادة وقوة بدنية أن يتسلقها ويرى المقبرة بنفسه . وقد نحت على واجهتها قصص مغـــامراته

وكتب ضمن قصصه هذه العبارة . « لقد كنت رجلا محبوبا من ابيه مشكورا من امه محبوبا من اخوته كلهم . وقد اطعمت الجائع و كسوت العريان وقدمت مرا كبي لنقل من لم يكن له مركب .

«ايها الاحياء الذين على الارض مارون امام هذه المقبرة سواء اكنتم متجهين جنوبا ام شمالا الذين سيقدمون الف رغيف والف قدح من البيرة لصاحب هـذا القبر ، سأشفع من أجلكم لأننى عالى القدر — وقد صرت مجدا مع الالهة . وانا كاهن ممن يعرفون الطقوس . اما ان دخل هـذا القبر رجل ليستولى عليه ويجعله قبرا له فسأقتنصه كما تقتنص الطيور وسيحا كم امام الاله العظيم ولقد كنت رجلا يقول مايحبه الناس ويكرر مايرضيهم . فلم اتفوه بكلمة تسوء احدا امام من له سلطـــــة عليــــه لاننى كنت ابغى ان انال رضى الاله العظيم حين اقف فى حضرته . ولم اقصد مرة بين اخوة بطريقة يحرم معها احدهم من ميراث والديه »وفى هذه الكلمة لا يستعمل التهديد بقضاء الله كوسيلة لدفع الاعتداء عن قبر الميت فحسب بل ان فكرة المسئولية الادبية فيما بعد الموت مؤكدة ومقدمة كالغاية التى كان يسعى نحوهـا ذلك المغامر الجرىء من حياة البر التى عاشها

وهذه الغاية واضحة فى حياته اليومية واعماله العادية تبدو بجلاء من الكلمات القائلة . « كنت أبغى أن انال رضى الاله العظيم حين اقف فى حضرته فهو اذن طيلة حياته كان ينظر ابدا الى الامام والى امكان استدعائه ليقف فى الحضرة الرهيبة ليؤدى حسابا عما يكون قد اقترفه فى حياته من اثم

وكأقدم دليل على المسئولية الادبية المعنوية بعد الموت تؤدى شهادة مدهشة فى ذلك العصر السحيق — حوالى ٥٠٠٠ ق . م . لانه بعد ذلك بأ كثر من الفى سنة كانوا فى البـــــلاد الاخرى لا يميزون بين نصيب البـار ونصيب الشرير ويجعلونهما فى مستوي واحد دون أى تفريق بالمرة بينهما . فهـذا المستوى الادبى الرفيع الذي بعثت اليه الروحانية المصرية هو مستوى منقطع النظير فى مداه — بل هو الشعاع اللامع الوحيد الذى كان يخترق الظلمـات المتراكمة فى تلك العهود المظلمة السحيقة .

والحكم الادبى لم يكن ذا أثر فى علاقة الانسانية باقاربه وجيرنه او مجتمعه القريب فحسب بل أنه ذو أثر فعال فى الطبقات العليا وفى واجبـات الحكومة نحو الشعب كوحدة حتى لو تضاربت هـــذه الواجبات مع مطالب الاسرة . سبق ان حـــدث فى عهد الأهرام ان الوزير كتى صار مثلا ذائعا على الالسنة بسبب حكم قضى به حين حكم فى

قضية كان بعض من اقاربه فريقا من المتخاصمين فيها . فحكم ضد مصلحة اقاربه دون النظر فى تفاصيل القضية خوفا من ان يقال انه متحيز لهم وتصف الملفات التى تسرد قصته بعد حدوثها بقليل انه « لما استأنف احد اقاربه واشتكى ظل مصرا على حكمه . » وبعد حدوث هذه القصة بالف وخمسمائة سنة كان اسم كتى هذا لايزال مضرب الامثال كقاض حاد عن الحق حتى لايباريه احد . واوصى فرعون وزراءه بعد الف وخمسمائه سنه ألا يقتفوا عمل كتى هذا لانه كان « اكثر من العدالة »

وتتضمن ملفات الاهرام شواهد لاشك فيها على ان مطالب العدل والبر فيها كانا فوق الملك نفسه . فلم يعف الملك من الالتزامات التى كانت مفروضة على اشرافه . وكان ألاله الذى يجب على فرعون ارضاؤه هو رع كما كان الحال مع رعاياه .« لا يوجد شر اتاه الملك يپى . وما اعظم حكمه فى نظرك ايها الاله رع » وفى الكلمة التاليه تتلخص الفكرة الادبية التى كانت تسود عصر الاهرام : « ايها (المعداوي) الذي ينقل الابرار الذين لازورق لهم ، يامن تحملهم الى حقول البردى ، ان الملك مرير — يپى الاول — هو امام الجو وامام الارض . » او : « هذا الملك يپى مبرر — هذا الملك يپى مشكور . « وبنفس الكيفية كان كوكب الصبح — من الآلهة الشمسيه — يرقب القيمة الادبية التى لفرعون ويثبتها عنده : « انت يا كوكب الصبح هو الذى تجعل يپى مجلس بسبب بره ويقوم بسبب حرمته

والقيمه الادبية التى للميت كما يجب طبقا للادراك القضائى عند المصريين ان يبث فيها بطريقة قانونية . فنحن نرى ان الاشراف كانوا دوما يشيرون فى قبورهم الى تبريرهم امام محكمة الاله القاضى الاعلى . وهذا الحكم كان يسرى حتى على الآلهة الذين كان لابد لكل منهم ان يتبرر امام الاله جب(الاله — الارض)

والفرعون المنتقل المعلن عنه انه بار يستمر فى اظهار صفاته عينها وفى استعمال سلطته العلوية التى تمنح له . « فيحكم بالعدل امام رع فى يوم العيد المسمر بيوم اول السنة — والسماء راضية عنه والارض فى فرح اذ هما يسمعان ان الملك نفركير — يپى الثانى — قد اقام العدل حيث كان الظلم . وجميع من يجلسون مع الملك نفركير يرضون فى محكمته التى للعدل ويستمعون لالفاظ العدل التى يتفوه بها » ومما لاشك فيه أن قيمة هذه الاقوال عظيمة اذ يبدونها ان الملك يقيم العدل فى حضرة الاله الشمس . كذلك توجد كلمات اخرى شبيهة بهذه ومن نفس هذا العصر — عصر الاهرام تثبت « ان الملك يوناس قد اقام العدل مكان الظلم »

وفى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد كان احد اسماء الملك يومرفاف الرسمية هو

« العامل البر — ماآت » لهذا كانت اقامته العدل بعد انتقاله من هذه الحياة انما هى حلقة متممة لسلسلة حياته الادبية على هذه الارض — لانه انما كان بعمله هذا ينبت البر (ماآت) . وقد وردت فى ملفات الاهرام هذه الكلمات : « ان الملك يخرج البر ماآت ليتخذه معه » وايضا : « ان الملك يوناس يخرج اليوم حتى يأتى بالبرمات معه »

وحين نتأمل اسم الملك يوسركاف نجد انه من الشائق جدا ان شيخا كان يشغل منصب كبير الوزراء يختم مجموعة حكمه بقوله : « لقد بلغت من العمر مئة سنة وعشر سنوات وقد منحنى الملك الهبات والعطايا اكثر مما منح آبائى لاننى صنعت البر للملك حتى القبر . » وهذا الشيخ العظيم الذى فاه بتلك الكلمات كان بتا هوتب الذى اعتزل الخدمة من منصب كبير الوزراء فى عهد الفرعون ايسيس من الاسرة الخامسة فى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد . ومن الظاهر انه كان رجلا مسنا فى عصر الملك يوسركاف ولهذا كان من الممكن ان يوجد هناك اتصال بين تأكيد الوزير انه « عمل البر » وبين الاسم الرسمى الذى للملك وهو « العامل البر »

اريس حبيب المصرى



نحن وسكان الكواكب الاخرى

للاستاذ نقولا يوسف

النظرية القائلة بوجود كواكب غير الارض مسكونة بالمخلوقات الحية تعتمد فى هذا الاستنتاج على فرضين

الاول — انه ليس من المعقول أن تكون كرتنا الارضية الصغيرة هى المختصه وحدها بسكن الاحياء وسط هذا الكون الهائل الذى لا يمكن تصور حدوده ان كان له حدود . اذ ان ارضنا أو قريتنا الكبرى التى تتم الطيارة اليوم رحلتها حولها فى اسبوع واحد ما هى الا واحدة من السيارات التسع التى تدور حول شمسها وتكون المجموعة الشمسيه أن هى الا جزء من مجموعة نجمية كبرى تدعى بالمجرة وتتكون من عشرات الملايين من النجوم والشموس المختلفة الاحجام . ووراء هذه المجرة مجرات اخرى تسبح فى الفضاء يبعد عنا اقربها الينا نحو ثمانمائة الف سنة ضوئية وأبعدها نحو خمسمائة مليون سنة ضوئيه

فليس من العقول ان تكون ارضنا وهى تلك الذرة التائهة على شاطىء المحيط الكونى ! هى المتفردة وحدها بوجود احياء نباتية وحيوانية ، وبوجود مخلوقات ذوات نفوس وعقول تحاول فى تطورها وارتقائها كشف اسرار هذا الكون العجيب ، واذن فلا بد ان تكون هناك عوالم اخرى مأهولة بالسكان ، اى ان جرثومة الحياة كانت كامنة فيها كما كانت كامنة على الارض ثم سرى عليها ناموس التطور

بل انه من الغرور والكبرياء أن يظن الارضيون أنهم وحدهم المتميزون بالوجود والمتشرفون بالخلق دون سائر العوالم وان سائر الكواكب والنجوم وعددها اكثر من رمال المحيطات خالية خاوية لم تخلق الا لتنير لهم السبيل او لتخلب الباب الشعراء

ولقد مرت قرون طويلة كان الناس يذهبون فيها مذهب بطليموس بأن الارض مركز الكون

الذى تدور حوله الشمس والسيارات وكل نجوم السماء . وكان رجال الدين يعاقبون أو يحرقون من يرى غير هذا الرأى . وكان فى الناس قبل بطليموس من يرى ان السماء هى سقف الارض تسنده الجبال أو الاعمدة وقد تدلت النجوم من هذا السقف كالمصابيح ..

ولكنا مع ما وصلنا اليه من الاجهزة الفلكية الحديثة لا نستطيع ان نميز غير أقرب الكواكب الينا وهذا التميز لا يتعدى رؤية التضاريس البارزة التى تبدو لنا كالاشباح ، الا ان التقدم العلمى مازال مطردا وهذا التقدم لا بد ان يساعدنا يوما على التقرب من السيارات والكواكب السماوية الاخرى فنكتشفها و لعلنا نستطيع فى المستقبل الاتصال باهلها بل يمكننا أن نحلم بالسفر اليهم . . .

أما الفرض الثانى فهو توافر الشروط التى تعين على وجود المخلوقات الحية فى بعض الكواكب كما تتوافر على الارض . وقد ثبت توافر هذه الشروط برصد العلماء ، ودراستهم لسيارات مجموعتنا الشمسية واعانهم على تلك الدراسة تقدم صناعة المراقب (التلسكوب) والاجهزة الفلكية الحديثة كالمصورات الضوئية واجهزة الحل الطيفى ومقاييس الحرارة وغيرها

وقد ثبت مثلا ان المريخ هو احدى الكواكب التى تتوفر بها شروط الحياة فهو تحيط به طبقة من الهواء كالطبقة التى تحيط بارضنا . وحالته الجوية والطبيعية تجعل الحياة عليه مستطاعة و تزيد الاعتقاد بانه آهل بالسكان

وقد ظهر للراصدين بالمريخ من بحار وجزر وجبال وأودية بل وأنهار وترع فرسمت له الخرائط ووضعت عليها الاسماء ..

ودراسة العلماء للمريخ جعلت من المعروف لنا أنه اقدم من الارض عهدا واصغر منها حجما وانه يبعد عن الشمس أكثر مما تبعد عنها الارض وانه عندما يقترب من الارض يكون على بعد ٥٦ مليونا من الكيلومترات منها ثم يبتعد عنها الى مسافة اربعمائة مليون من الكيلومترات . وان سنته تزيد على سنة الارض ٣٢١ يوما فقط . وأنه اشد برودة من الارض

واذا رجح الظن بان المريخ اهل بالاحياء تشعبت الآراء وتمادى التصور بالقصصيين فتخيلوا وافترضوا ماشاء لهم الخيال عن أهل هذا الكوكب السيار : —

(١) فتخيل فلامريون العالم الفلكى الشهير « أن أهل المريخ يقرأون الافكار قبل التعبير عنها بالكلام ، وان اجسامهم تشبه اجسامنا ولكنها مكونة من مادة ارق وادق واقل قوة وصلابة من المادة التى تتكون منها اجسادنا ، وانهم أرقى عقلا من الانسان الذى يعيش على الارض ويسكنون

بيوتا كالتي نسكن فيها نحن ويقضون حياتهم متنقلين من جهة الى اخرى ، ولهم اجنحة كالطيور يرتفعون بها عن سطح الارض ، وهم لا يشتغلون الا فى الاشغال الفكرية والعقلية لانهم ليسوا فى حاجة الى التعب الجسدي لتوافر اسباب الراحة لديهم »

(٢) تخيل العالم ليسون ان سكان المريخ فئتان . فئة من جبابرة هائلين ، وفئة من اقزام صغيرة وان اولئك السكان يتسلقون المرتفعات ويهبطون الاودية بسهولة كالطيور

(٣) زعم ولز أن اجسام أهل المريخ هائلة وانهم اشد فتكا وتوحشا من الحيوانات المفترسة عندنا

(٤) رأى عالم اخر انهم كالاقزام الوديعة ..

(٥) لما كان المريخ اقدم بكثير من الارض فقد ذهب البعض ان اهله لا بد ان يكونوا قد قطعوا شوطا بعيدا فى الرقى والحضارة ومن المحتمل ان يكون لديهم من الوسائل ما يجعلهم قادرين على مخاطبتنا والاتصال بنا لو تيسرت لنا مثل تلك الوسائل للرد عليهم ...

(٦) لما كانت قوة الجاذبية على المريخ ضعيفة جدا فالكيلو جرام مثلا عندنا لا يزن هناك اكثر من ٣٧٦ جراما فان رجل المريخ لا يستطيع ان يحمل شيئا على ظهره لانه لا يقوى الا على حمل نفسه فقط ....

(٧) لما كان البرد قارسا فى المريخ فانه يحول فى نظر البعض دون وجود أناس ولكن الدكتور موزلى العالم الانجليزي الذى عاد اخيرا من رحلته العلمية الى سيبريا يقول أنه عثر فيها على نوع من البزاق يعيش فى جو تبلغ درجة حرارته اربعين تحت الصفر بالمقياس المئوى وقال اذا وجد الاحياء بالمريخ فانهم يكونون من نوع هذا البزاق ولا يبقى الا ان نعرف حقيقة ذهنية البزاق المريخي ......

(٨) وما دمنا فى سياق الفروض والتصورات بشأن أولئك السكان فانا فى حل من ايراد رأى اخر لا يخلو من غرابة ننقله عن احدى مؤلفات المرحوم الان كاروك العالم النفسانى ورئيس جمعية المباحث النفسانية بباريس فانه يذكر فى هذا الكتاب الفلسفي الضخم أنه وجمعيته قد استحضروا أحد الارواح العليا وألقوا عليه مئات الاسئلة فى معضلات الكون فاجاب عنها بلسان الوسيطة اجابات منطقية مقنعة مذكورة كلها فى هذا الكتاب المسمى « كتاب الارواح » ومنها ما يختص بسكنى الكواكب اذ سألوه :

هل هناك عوالم أخرى تدور فى الفضاء آهلة بالسكان ؟

نعم ، وليس الانسان الارضى ، كما يعتقد هو ، المنفرد بالذكاء والطبيعة والكمال فى هذا الكون : ان هنالك اناسا كثيرين يعتقدون أو يزعمون أن هذه الكرة الصغيرة تختص

وحدها بميزة المخلوقات العاقلة وأن الله خلق الكون لهم وحدهم . وهذا غرور وكبرياء .

هل تتشابه الكواكب المختلفة فى تركيبها الطبيعى ؟

لا . لا تتشابه كلها فى تركيبها .

اذن، أيتبع ذلك نسق مختلف للمخلوقات التى تسكنها ؟

بلا شك . كما أن عندكم خلقت الاسماك لتعيش فى الماء والطيور فى الهواء .

هل الكواكب النائية البعد عن الشمس محرومة من النور والحرارة ما دامت الشمس لا تبدو لهم الا كنجم صغير ؟

اذا هل تعتقدون أنه ليس ثمت مصادر للنور والحرارة غير الشمس ولا تحسبون مثلا حساب الكهرباء التى تمثل دورا مجهولا لديكم فى بعض العوالم هو اكثر أهمية مما هو على الارض. ومن جهة اخرى لا يقال أنه لكل المخلوقات ذات المادة التى لكم وأن أعضاءها مثل أعضائكم

وقد علق الان كروك على ما سبق بقوله :—

« ان الله أسكن الكواكب بمخلوقات حية . أما الاعتقاد بأن الأحياء محصورون فى مكان واحد من الكون فانه يثير شكا فى حكمة الاله الذى لم يصنع شيئاً عبثاً . إنه هيأ هذه العوالم لغرض أخطر مما نتصور وليس ثمت ما يحملنا على الظن ، سواء أكان من ناحية المركز أو الحجم او التركيب الطبيعى للارض أن أرضنا هى المأهولة وحدها دون سائر الكواكب المشابهة لها .

« من شروط البقاء للمخلوقات التى تسكن العوالم المختلفة أن تلائم البيئة التى تعيش فيها . ونحن اذا كنا لم نر السمك فلن نفهم كيف أن بعض المخلوقات الحية تستطيع العيش تحت الماء . وكذا الحال مع أحياء العوالم الاخرى فانها ولا شك تحوز كثيرا من العناصر المجهولة لدينا . ألا نرى كيف تضاء الليالى القطبية الطويلة على الأرض بالشفق القطبى لا بقرص الشمس؟ وهل من المستحيل أن تكون الكهرباء فى بعض الكواكب أغزر مما هي على الارض وأنها تمثل دورا عظيما لا نستطيع أن ندرك اثاره ؟ ومن المحتمل أن يكون بهذه العوالم منابع للحرارة والضوء ينتفع بها سكانها »

« • »

والعلماء معذورون فى مثل هذا التناقض انهم يصفون أشياء لا يمكن لنا اليوم رؤيتها ، وما لا يدرك كله لا يترك كله ، ولكننا نلاحظ من وراء هذه التصورات المتباينة أن الانسان كعادته

يقيس كل شيء بالنسبة لما يقع تحت حواسه البشرية المحدودة . فهو يتخيل المخلوقات الحية في الكواكب الأخرى ويتصور حياتها وعاداتها وعلومها وفنونها كما لو كانت تعيش على أرضنا أعني أنه يقيسها بالمقاييس الأرضية حتى أن الكثير من الناس يتخيلون الله تعالى ، وهو القوة المعنوية الخارجة عن دائرة التخيل ، ذا صورة بشرية كأن يكون على شكل شيخ وقور ذي حواس بشرية جالس على عرش فى السماء تحيط به الجنود والحاشية وملائكة لهم وجوه الحسان وأجنحة الطيور . بل لقد كان القدماء يصورون آلهتهم بأشكال الحيوانات والطيور والبشر وينسبون اليهم كل ما للانسان من غرائز حتى الجنسية منها ..

فاذا كان فى الفضاء عوالم مأهولة بالاحياء فمن الجائز أن تكون تلك الاحياء خارجة عن دائرة تصوراتنا بل من المحتمل أن تكون هناك أجسام حيوانية لا لحم لها ولا دم . بل من المحتمل أيضا أن تكون بينها مخلوقات اثيرية عاقلة لا يمكن لعيوننا المائية أن تراها ..

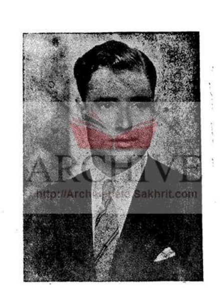
ومن الجائز أيضا أن يكون بين تلك العوالم ما يفوق الأرض عظمة وعمرانا وأن يكون أهلها قد سبقونا فى الحضارة والمدنية والتقدم العلمى فاكتشفوا واخترعوا من المكتشفات والمخترعات ما لم نصل اليه بعد . وقد يكون بينها كوكب يستطيع أهله أن يرونا عراقبهم ويسمعون جلبتنا بميكروفوناتهم ويعرفون عنا وعن حياتنا وأخلاقنا شيئا كثيرا ، أننا ولا شك نكون فى نظرهم مسرحا كوميديا يتلهون برؤياه فى أوقات فراغهم ! انهم سيرون فى قريتنا الكبرى مجموعة من المتناقضات اذا اجتمعت لناظر واحد خالها « كرنفالا » !

فهنا أسرة بشرية واحدة تتحدث بثلاثة آلاف لغة وتدين بالف دين وتبدو بعشرة الوان وترتدى بكل ما يستطيع الخيال تصوره من الازياء وتتشعب الى عشرات الاجناس ومئات الاجناس وهنا على أرضنا تتمسك كل جماعة من الناس بقطعة خاصة من الطين والماء تدعوها وطنا قوميا ثم تحوط هذه البقية بأسوار من القلاع والمدافع والجيوش والاستحكامات والحواجز الجمركية أنهم سيتفرجون بمشاهد التعصب القومى والدينى واللغوى والجنسى ، سيرون كيف ننفق العمر فى ابتداع معدات جديدة للفتك والخراب والتأهب لغزو الجار واستعمار بيت الضعيف . سيعجبون من مرأى البؤس والفقر والمجاعات وعطلة ملايين العمال والارض مليئة بخيرات الله !

سيدهشون من أمر التفاوت فى الدرجات والتمايز بين الطبقات والتفريق بين الغنى والفقير وسيرون كيف يسود الجهل هذا الكوكب الصغير وليس عليه من المتعلمين غير

نفر قليل ! لقد قطعت البشرية عشرة آلاف سنة فى التطور ولم تبلغ بعد سن الرشد !

الحق ان من مصلحتنا معشر الارضيين أن نكون قبيلة مجهولة على كوكب مجهول وسط هذه العوالم التى تنتشر فى السموات ، أو أن نكون وحدنا الاحياء فى هذا الكون الهائل !



الاستاذ نقولا يوسف

تحقيق السعادة

كما يراها برتراند رسل

للاستاذ يعقوب فام

برتراند رسل رجل فى سن السبعين او مايقرب من ذلك ، له شوارب بيضاء ، نحيف الجسم متوسط القامة ، جهورى الصوت نوعا ما ، منصب العود خفيف الحركة كأن السبعين لم تغلبه على امره ، بدأ حياته بالاشتغال بالرياضيات واللعب بالارقام ، ونبغ فى هذا حتى انه ليعد من ائمة هذا العلم ، لم يبز اربابه رأى معدود ، ويقال انه واحد من ستة رجال على ظهر هذه الارض يفهمون نظرية اينشتين التى يفهمها جميع الكتاب عندنا على الاطلاق ماعدا قادة الفكر فى هذا البلد

لبرتراند رسل من المؤلفات حوالى العشرين ، وضعها فى الرياضيات ، والعلوم الطبيعية ، وفى التربية ، والتعليم والعلوم الاجتماعية وفى الفلسفة بنوعيها ؛ ما كان منها مستمداً من الحقائق الرياضية وما كان مستمدا من الفكر البحت او المنطق ، من نظرياته فى التربية والاجتماع والاقتصاد نستطيع ان نحكم ان الرجل اشتراكي متطرف ولكن ليس الى حدود التهور

وانى اجد ان اسلوبه سهل المنال يستطيع كل من له المام ببعض هذه الحركات الفكرية ان يتتبعه من غير كبير عناء ، واما فى هذا الكتاب الذى نحن بصدده فقد ابدع فى الحق واجاد ، وساعدنى كثيرا فى حياتى الداخلية ، حياة العواطف والبيئة السيكلوجية التي اعيش فيها ، لقد نلت بعض السعادة من قراءة هذا الكتاب ، واظن انى سوف اكون سعيدا وسابقى سعيد لانى قرأته ، وعلى اى حال يجب ان اترك هذه النقطة موقتا لاعود اليها بعد قليل ، واما الآن فيحسن بى ان اتم ماشرعت فيه حتى ارسم صورة قريبة من الصواب عن هذا الرجل

ناحية اخرى مهمة من حياة هذا الرجل يجب ان لا نغفلها حتى تتكون عندنا صورة ذهنية صحيحة عنه ، وهذه الناحية هي فلسفته ، برتراند رسل رجل كافر ملحد ، لايرى لله وجودا ولا اثرا فى هذا الكون ، انه ينال نظام الكون بلواذع النقد والتقريع ، ويلومه على الشرور والمصائب التى تعج بها الحياة الراهنة ، وبالطبع لا يستطيع انسان له مسكة من العقل او الذوق السليم ان ينكر وجود المصائب والنوازل الفردية والاجتماعية ، كالامراض والحوادث وكوارث البراكين والفاقة والجوع والتعاسة التى تملأ هذه الارض ، والتى تسحق الافراد والجماعات ، لاينكر انسان له عقل هذه الامور . ولكن برتراند رسل يحمل على نظام الكون ويلومه لكل هذه ، بينما غيره يرى كل هذه الامور ويحار فى تعليلها وردها إلى اسبابها العقلية ، فيعجز

وعلى اى حال سواء أكان موقفه صواباً ام خطأ فأن برتراند رسل رجل ملحد فى فلسفته ، شديد الالحاد ، يجاهر به لانه يعيش فى بلاد تقدس حرية الرأى الى آخر حدود التقديس

* * *

« تحقيق السعادة » كتاب فى حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط ، اسلوبه سهل المأخذ لذيذة افكاره مرتبه معنى بها بحيث تتلو بعضها بعضا وتتمم بعضها بعضاً ، لايشعر القارىء فيه بأنه فى جو غريب عنه ، او بأن ما يتناوله الكتاب بالبحث يخرج عن دائرة اختبارات الفرد اليومية لا بل لا يسفك وأنت تدرسه الا بأن تشعر أن ما يرد فيه قد ورد عليك ومر بك فى حياتك اليومية ، تشعر أن ما يقوله قد مر بك فى حياتك اليومية ، ولكنك تعجب من نفسك كيف أنك لم تتنبه له من قبل ، ومن أنك تحتاج الى واحد مثل برتراند رسل لينبهك اليه ، ويردد لك صدى نفسك وما تختلج به مشاعرك

قسم المؤلف كتابه الى بابين أولهما موضوعه (أسباب الشقاء وبه تسعة فصول يدور البحث فيها حول هذه المواضيع وأمثالها (ماذا يشقي الناس) ، (التعاسة البيرونية) — (نسبته الى بيرون الشاعر الانجليزي ـ (التعب) و (الحسد) الى اخره ، وفى الباب الثاني وموضوعه (أسباب السعادة) بامثال هذه الفصول « الحب » الرجل السعيد «الحماسة» و«العائلة» (والعمل) الى اخره وفى هذا الباب ثمانية فصول ، وفى هذا الكتاب لم يعرف المؤلف السعادة ، أى أنه لم يضع لها حدودا نعرفها بها ، لم يقل لنا ما هى ، وانما كل ما يقوله ويؤكده هو أنها ممكنة لمعظم الناس أن لم يكن لجميعهم ، ومن رأيه أنها تتوقف على شيئين ـ أحدهما داخلى نفسي والآخر خارجي موضوعى ، بعضها خاص بالنظم الاجتماعية وبعضها نفسى سيكلوجي وهو من الذين يعتقدون

أن النفسي أو السيكلوجي هو فى الواقع كنتيجة مباشرة للعوامل والنظم الاجتماعية ، ولكن الفرد بالطبع يستطيع أن يسعد برغم ما يحيط به ، وانى أرى هنا تناقضا بينا صريحا ، ذلك لأن برتراند رسل يقول فى كتابه بان السعادة متوقفة على الانسان نفسه ، فالانسان يستطيع أن يحصل على السعادة متى راض نفسه وقومها وأخذ بيدها فى الطريق المستقيم الذى يقود الى السعادة ، من هنا كان التناقض نوعا ما ، ولكنى التمس له عذرا الآن المقام لم يكن مقام تحديد العوامل وفصلها بعضها عن بعض وتبين كل منها على حده ، وانما مقام بحثه فى امكانية السعادة للفرد برغم ما يعترضه فى سبيله ، وبرغم ما يحيط به من عوامل تنزلق بالانسان الى اليأس والتعاسة والشقاء

«*»

لا ينكر احد ان من اسباب الشقاء بعض العوامل التى تخرج عن طوق الانسان وعن مجهوده . بعض الشقاء ينطوى فى ثنايا البيئة التى نعيش فيها ، وبصفته عنصرا من عناصر البيئة لا بد وان يؤثر فينا ويكوينا بناره . لا بد وان نخضع لبعض المؤثرات التى تقع علينا منه ، ونستجيب لها ببعض المشاعر المكروهة البغيضة التى ندعوها شقاء ، لا بد وان ينالها هذا الشقاء الذى يغمرنا من جميع الجهات ، لا ننكر هذا ولا نمارى فيه ، ويحسن بنا ان لا ننكر أو نمارى لان تجاهل الشيء لا ينفى وجوده واثره

ولكن هناك بعض العوامل النفسية التى تسبب شقاءنا وعذابنا ، هذه العوامل هى فى الواقع من صنع النفس البشرية ومن عملها . تخلق النفس هذه العوامل وتشوى الانسان بها وتذيقه التعاسة أشكالا والوانا ، أو قد لا تخلقها اصلا وانما تجدها فى الحقيقة والواقع ، ولكنها تأخذها وتحتضنها وتغذيها حتى تكبر فتكوى الانسان وتذيقه العلقم ، تنتقى النفس بعض عوامل الشقاء من البيئة وتتعهدها وترعاها الى أن تشب نارا قوية فتصب عليها الزيت وتقدم لها الوقود وتصطنع فيها لهيبا حاميا تتقلب عليه وتشوى اجنابها وتكوى اضلاعها ثم تصرخ وتستغيث فكأنما كان الشقاء فى البيئة فالتقطته النفس ونفخت فيه لتزيده أوارا . واذا لم يكن فى البيئة اصطنعته النفس اصطناعا وبنته من الخيال والاوهام

من هذا يتبين ان المسئولية فى الواقع تنصب على رأس الانسان نفسه ، وهذا فى الواقع هو ماذهب اليه برتراند رسل فى كتابه الذى نحن بصدده ، فلو نظرت الى اسباب الشقاء كما اوردها لما تسرب اليك الشك مطلقا فى أن ان معظمها يرجع الى الانسان نفسه دون سواه ، ومع ذلك لا يسعك الا ان تسلم بوجهة نظر المؤلف بدون تردد ، تتبع الاسباب سببا سببا فلا تري مندوحة من ان توافق على كل منها بمفردها وعليها فى مجموعها ثم لا تري مناصا ايضامن ان تزعم ان جميع هذه

الاسباب ترجع فى اخر الامر الى عوامل نفسيه قريبة أو بعيدة

يقول برتراندرسل « انى اعتقد ان الشقاء انما يرجع فى الغالب الى بعض النظرات المغلوطة للحياة ، أو الى بعض القضايا الاخلاقية المنكوسة . والى بعض العادات الخاطئة التى تهدم الشهوة والقابلية الى بعض الامور التى تتوقف عليها سعادة الانسان والحيوان وبمعنى آخر أن فينا ميولا وشهوة للحياة ومظاهرها ، للحب والجمال والصداقة ، وفينا شهوة وحماسة لبعض ما تقدمه لنا الحياة كالاخبار والمطالعة والاستطلاع والمغامرة بمظاهرها المختلفة ، فينا حب فطرى للكشف عن المجهول ، لدينا الدوافع الطبيعية التى تحفزنا على التغلب على الصعب والتى تستفزنا للنضال والانتصار ، فينا كل هذه الميول والشهوات ، ولكن نظرتنا الخاطئة للحياة فى مجموعها، وللعادات والعرف والفضائل والاخلاق تستلب منا هذه الميول وتخنقها فى المهد وتتركنا زاهدين فى كل ما تقدمه لنا الحياة أو فى الحياة ذاتها ، ومتى ذهب هذا الشوق وتلك القابلية ماذا يتبقى لنا من السعادة ؟

كنت مرة أسير فى شارع فؤاد فى صحبة صديق لى ، واذا بنا نرى أمامنا شابين يسيران جنبا الى جنب ، والظاهر انهما صديقان يريدان أن يستمتعا بسهرة لذيذة ، واذا باحدهما يقول للاخر عجبا ! ماذا تريدان تفعل يا أخى ؟ لقد عرضت عليك أن نجلس فى المقهى ، أو نسير فى الشارع ، أو نذهب الى احدى دور السيما أو التمثيل ، لقد عرضت عليك أن نشرب ، أو نلعب الورق فلم يعجبك شىء من هذا ، ومع ذلك لا تستطيع أن تقترح شيئا غير هذه الامور ، فماذا أستطيع أن افعل لك ؟

لا يستطيع هذا الشاب أن يسعد صديقه لحظات قليلة لانه شاب ، زاهد فى مظاهر الحياة (نفسه مسدودة - زهقان) ، وأحسن تعبير وجدته لهذه الحالة هو كلمة ennui الفرنسيه ، فماذا تستطيع ان تفعل لشاب ماتت فيه القابليه لما تحويه الدنيا حواليه ، اللهم لا شىء ، سوى أن تخلق له دنيا أخرى غير هذه ، وهذا بالطبع سخيف ، لان السعادة اذا لم تكن موجودة فى هذه الدنيافليس لها وجود على الاطلاق ، اماأنهاموجودة معنا أو معدومة بالمرة

يذكر المؤلف أنواعا كثيرة من أسباب الشقاء ولست أرغب فى التكلم عنها جميعا لان المجال لا يسمح بذلك : وانما أعدد بعضها فقط ، وأشرح واحدا أو اثنين منها على سبيل التمثيل

من ضمن أنواع الشقاء ما يسميه (١) الاعتقاد الخطأ بأن الشقاء من نصيب كبار المفكرين قبل غيرهم (٢) محبة الناس بقصد احتكار مشاعرهم (٣) ان لا يهتم الانسان لشىء ما لم يكن له فائدة عملية فى حياته (٤) عدم القدرة على ترك بعض المسائل معلقة الى ظرف مناسب (٥)

عدم مقدرة الانسان على التحكم فى عوامل الشقاء النفسية والموضوعية (٦) شدة الاكتراث للامور التى تفسد بفعل الانسان أو بفعل الظروف (٧) تركيز وعى الانسان فيما بنفسه وليس فيما يحيط به (٨) الحسد (٩) الشعور بالذنب (١٠) الاضطهاد المزعوم القلق

ولنضرب مثلا بالقلق : — القلق هو حالة نفسية وليست موضوعيه ، بمعنى أنه من صنع النفس وليس موجودا فيما يحيط بنا من العناصر الطبيعية ، حقاً أن سببه موجود فى البيئة التى نعيش فيها ، فالانسان ياتى أمرا من الامور ويقصده منتظر النتيجة عمله ، ولأنه يجهل النتيجة ، ولا يضمن أن تأتى كما يشتهى ويروم يضرب اخماسا لا سداس ، ويظل يركز كل مشاعره على نوع معين من النتائج ، وترتعب منه الفرائص لدي تخيله بأن الأمور لا نسير على ما يرام فيأ كل .. صابعه ، وينتف شعره ، ويتملكه نوع من الهستريا » قد يحدث له ، فينقطع عن الأكل والنوم فتضعف أعصابه وتصير أكثر قابلية للاضطراب والانفعال ، وتزداد فيه عوامل القلق من جديد ، وهكذا يدور فى حلقه لعينة ، من قلق الى ضعف فى الاعصاب ، ومن ضعف فى الاعصاب الى قلق أشد وهكذا الى مالانهاية ، والواقع أن هذا الانسان اسلم قيادته الى عواطفه ومشاعره والغى عقله وأقصاه عن الاضطلاع بمسئولياته ، بينما كان يستطيع هذا الانسان أن يترك الامور تجرى فى مجراها بعد أن يكون قد أفرغ جهده فى تغليب العناصر التى تعينه على أغراضه . وبعد أن يفعل هذا يصرف الموضوع من نفسه ولا يعود له الا ان يستمتع بالنتائج الحسنة أو ليدرأ عن نفسه بعض النتائج السيئة ، وهذا عين ما يفعله كبار الرجال ، فانهم يولون المسألة كل التفاتهم ويصرفون فيها كل جهودهم ، ثم يتركونها لشأنها ، لتنتج ما تريد أن تنتج ، أما الاستسلام للقلق وتمليكه من نفس الانسان فهو من شيمة الضعاف

يحكى عن ولنجنون — القائد الانجليزى الذى قهر نابوليون ـ أنه وضع خطته للموقعة الفاصلة فى التاريخ ، وقدر لكل العوامل المفاجئة كل حساب ، وعنى بكل دقيقة من دقائق الاستعداد للموقعه ، وبعد أن أفرغ ما فى جعبته ، وبذل كل قطرة من مجهوده فى الاستعداد للقتال ، نسى كل شيء ومحا القلق والاضطراب من نفسه ، ثم ذهب الى قصر الدوقة فى بلجيكا وظل يرقص الى اخر لحظة كأن لم يكن حظه وحظ بلاده يضطرب فى ميزان القدر ، ولما أزف الوقت تأبط سيفه وخرج من قاعة الرقص ليشرف على الموقعة التى غيرت مجرى التاريخ

من العادات السخيفة فى بلادنا عادة الطلعة أو زيارة الميتين فى مقابرهم ، فليس لهذه الزيارات من غرض سوى تجديد الحزن ، والسعى وراء الشقاء والغرام به ، كأن لذة الدنيا عندنا فى هذه

التعاسة تجرى وراءها اذا ما غادرتنا . الحق ان الانسان يصطنع الشقاء لنفسه ، ويضعه أمامه ثم يبكي ويشكو من زمانه ومن تباريحه ، وما الزمان وتباريحه ، الاهواء فى هراء ، لست أنكر ان يحزن الانسان لموت أعزائه ، ولكنى أنكر عليه أن يلحف فى الحزن ، وفى اصطناع الشقاء والتعاسة

الحق أن برتراند رسل كان موفقا فى الكتابة عن هذا الموضوع ويقينى أنه سيكون عونا لكثير من الناس فى مجابهة الصعاب التى تلم بهم فى حياتهم اليومية ، وأنى انصح كل شاب أن يقتنيه ليدرسه دراسة منظمة عميقة حتى يستطيع أن ينال حظه من السعادة التى تعج بها هذه الارض رغم أنف المتطيرين